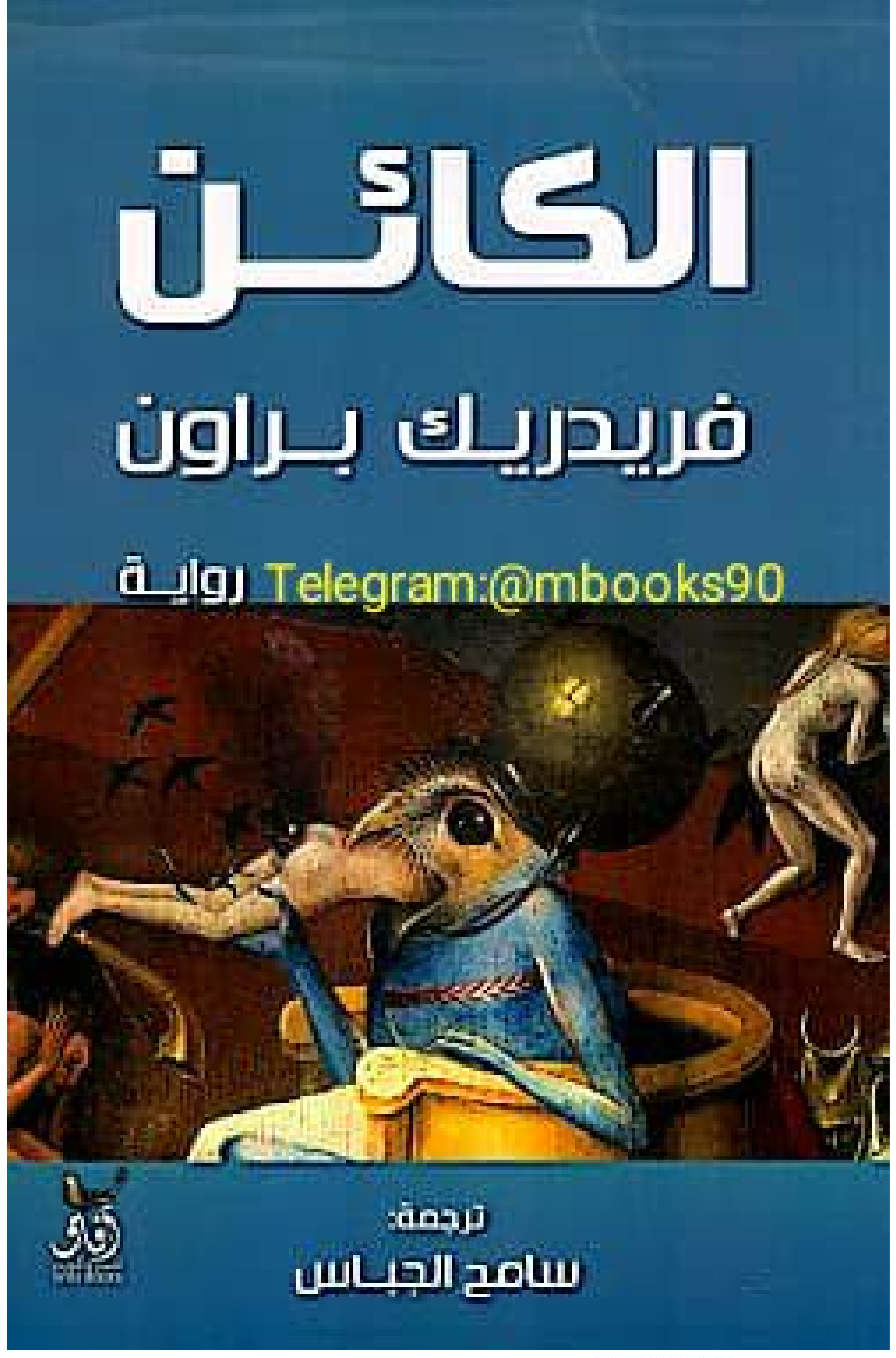

الكائن
فريدريك براون
رواية
Telegram:@mbooks90
ترجمة:
سامح الجباس

المؤلف

فريدريك براون (1906– 1972)، هو كاتب خيال علمي أمريكي شهير، له الكثير من الروايات والقصص القصيرة، التي تحوَّل بعضها إلى أفلام سينمائية. روايته الأشهر *The mind thing* الكائن كتبها عام 1961.



الفصل الأول

كان ذلك (الكائن) الذي هبط فجأةً مِن الفضاء مخلوقًا لم تشهدْ له الأرض مثيلًا مِن قبل.

كان كائنًا ينبضُ بالحياة، لكنها حياة غير التي نعرفها هنا على الأرض. فلم يكنْ له جسمُ ماديّ، حتى ينتمي إلى أي نوعٍ من الفصائل النباتية أو الحيوانية التي نعرفها. وليس له عينان أو لسان أو شفتان حتى يرى أو يعبر عما يعتمل في داخله. كذلك لم يكن له قلب ولا رأس ولا أذنان، ورغم كل ذلك فقد وهبه الله حاسّةً نادرةً لم يعرفها البشر. أشعة قوية تنطلق منه في كافة الاتجاهات، تجعله يرى بوضوح تام كل ما يقع حوله في دائرة قطرها عشرون مترًا، ولكن الكائن لا يرى أبعد من ذلك. ولكن كانت له أيضًا حساسية عالية لكل ما يخترق الأثير من ذبذبات أو موجات صوتية، وكأنه يُشبه رادارًا قويًّا.

* * *

ما كاد ذلك (الكائن) يصل إلى الأرض، حتّى بدأ يستخدم أشعته تلك في استكشاف طبيعة المكان الذي وجد نفسه فيه فجأةً. كان في استطاعته أن يرى ذلك البستان القريب وما به من أشجار، كما استطاع أن يسمع دبيب تلك الديدان الصغيرة وهي تسعى من تحته في باطن الأرض. أثارت تلك الديدان في البداية دهشته؛ فمثل تلك الحشرات لا تعيش فوق كوكبه، أما تلك الطيور الرابضة فوق الأغصان فكانت

عاديةً بالنسبة له، فهو يعلم بوجودها فوق بعض الكواكب التي يتوافر فيها غلاف من الهواء الثقيل.

وكان هناك حيوانٌ من ذوات الأربع، صغير الحجم، له ذيل طويل، ينام داخل نفق في باطن الأرض.

أدرك (الكائن) أن هذه هي فرصته، وأن في وسعه استخدام ذلك الحيوان وسيطًا له لو أنه نجح في التسلل إلى عقله النائم، ولكنه بعد لحظاتٍ عدل عن تلك الفكرة حينما لمس وضاعة ذلك الحيوان.

فكَّر (الكائن) في أنه لا بد أن على ظهر هذا الكوكب مخلوقات أكبر حجمًا وأكثر ذكاءً من هذا الحيوان.

فجأةً، استرعت انتباهه مُديةٌ مكسورة النصل ملقاة فوق العشب وقد علاها الصَّدأُ. بالطبع لم يعرف (الكائن) أنها مدية أو فيما يكون استخدامها؛ لأنه لم ير لها شبيهًا في عالمه، ولكنه فهم أنها قطعة مصنوعة.. إذنْ فعلى سطح هذا الكوكب صناعة، وبالتالي فهناك حضارة من نوع ما.

فجأةً، شعر (الكائن) بالذعر والقلق، فالحضارة يكون خلفها مخلوق ذكي، وهذا المخلوق يمكنه أن يكتشف أمر ذلك (الكائن) الدخيل.

إذنْ لا بُدَّ أن يتحسَّس (الكائن) خطواته بحذرٍ شديدٍ منذ تلك اللحظة، بل يجب عليه قبل أن يخطو خطوةً واحدةً أن يفهم طبيعة تلك الحضارة. يجب أن تكون خطوته الأولى أن يتسلَّل إلى عقلٍ

مخلوقٍ نائمٍ، وأن يقرأ ما يختزنه فيه من معلومات وأفكار، فذلك أفضلُ من الاعتماد على الملاحظة فقط، والتي قد تستهلك الكثير من الوقت هو في أشد الحاجة إليه. تلفت حوله وقد قرر أن يتحرك خطوة أو خطوتين حتى يختفي عن الأنظار.

ولو أنه كان في كوكبه ما كان ليهتم بإخفاء نفسه عن الأنظار، فهناك لا تقف أي عقبة أمام تلك الأشعة إلَّا واخترقتها وكشفت ما خلفها من أجسام، حتَّى لو كانت خلف جدار من الفولاذ، وهو قد عرف من خلال دراساته على كوكبه أنه لا يوجد بين ملايين الأجرام التي تدور في الفضاء مخلوقات تستخدم أكثر من أداة للرؤية، لذا فهو يثق أن المخلوقات هنا لا تستخدم سوى تلك الأعين الموجودة في رؤوسها.

كان (الكائن) قد لاحظ أن ذلك الحيوان قد أغمض عينيه لينام، كذلك كان لكل الطيور التي رآها حوله عينان لامعتان، إنها النافذة التي تطل بها على عالمها وهي تبدو محدودة لا يمكنها أن تخترق ما وراء الأشياء.

حاول أن يرفع نفسه ليتحرك تلك الخطوة ناحية العشب؛ حتى لا يظل في طريق عابري السبيل، ولكنه لم يقوَ على التحرك قيد أنملة.

لم يثر هذا الأمر عجبه أو ضيقه؛ فقد شعر منذ وصوله أن الجاذبية هنا أضعاف تلك الموجودة على كوكبه، حيث تكاد الجاذبية أن تكون معدومة، وكان بنو جنسه فاقدي لكل خواص الحركة، ولذلك كانوا

يستخدمون وسطاء في تنقلاتهم من مكان إلى آخر.

لهذا أصبح (الكائن) فاقد الحيلة، إذ لا بد له من وسيط يتحرك به من مكانه. وكان أقرب المخلوقات إليه ذلك الحيوان الصغير النائم في باطن الأرض، لكنه كان صغير الحجم، وربما كان وزن (الكائن) أثقل من وزنه، وفجأةً شعر بأن هناك مَن يقترب. سلط (الكائن) حواسه في ذلك الاتجاه وأدرك أن الخطر في طريقه إليه، إذنْ ليس هناك ما يدعو إلى التردد في الاستعانة بذلك الحيوان -على الرغم من عدم اقتناعه به- ليُخفيَهُ مؤقتًا عن أعين القادمين.

لقد أحس بذبذبة دبيب حيوان كبير الحجم، وكانت ثمة موجات صوتية كتلك التي تخرج من المخلوقات الراقية التي تُعبِّر بها عن مشاعرها. الآن أدرك (الكائن) أنهما اثنان، لأن طول إحدى الموجتين كان أطول من الأخرى. لم تكن تلك الأصوات تعني شيئًا بالنسبة له، لأنها بلغة غريبة عنه، ولأنهم في كوكبه يتفاهمون بطريقة التلباثي أي تبادل الأفكار.

بعد لحظات، كان الاثنان قد دخلا في نطاق رؤيته. كانا متماثلين تقريبًا في التكوين، لكن أحدهما أكبر جسمًا من الآخر وأخشن صوتًا، وكانا منتصبي القامة يسيران على ساقين، ولكل منهما ذراعان -كانت ذوات الأربع هي المخلوقات التي رآها الكائن منذ وصوله إلى الأرض- لاحظ (الكائن) أن الثياب التي يرتديها أحدهما تختلف في النوع والتفصيل عن تلك التي يرتديها رفيقه.

يا خالق الأكوان! إنهما يقتربان منه. بعد قليل سيمكنهما رؤيته.لم تعد هناك وسيلة سوى هذا الحيوان الصغير يتخذ منه ملاذًا حتى يبتعد الخطر. أما ما سوف يحدث بعد ذلك، فلا أحد يعرف! فلو كان هذا الحيوان صديقًا لتلك المخلوقات التي تسير على قدمين وتركوه يحيا، لظل (الكائن) محبوسًا بداخله، ولن يستطيع الإفلات، فتتعطل حركته، لأنه حتى يعود إلى حريته لا بد أن يموت الوسيط حتى ينطلق (الكائن) من أسره. عندها سيكون من الضروري أن يدبر (الكائن) للحيوان وسيلةً، حتى يموت، فكما لا يستطيع أن يتسلل إلى عقل أي مخلوق إلا وهو نائم، كذلك لا يستطيع أن يخرج منه إلا بعد أن يموت!

توقفت (شارلوت جاردنر) عن السير فجأةً، وجذبت خطيبها (تومي هوفمان)، وقالت وهي تشير إلى الطريق أمامها:

- انظر يا (تومي).. إنه أحد فئران الحقول. هل رأيتَ ما يفعل؟

غمغم (تومي) مُتعجِّباً:

- عجبًا.. إنه لمنظر فريد بحق السماء!

كان الفأر يقف في منتصف الطريق تمامًا.. يقف عن ساقيه الخلفية منتصب القامة يهز ذيله مثل الكلب، ويحرك ساقيه الأماميتين كأنه يلفت أنظارهما إليه. وكانت عيناه اللامعتان تنظران إليهما مباشرة.

قالت (شارلوت):

- إنه يحاول إظهار وده لنا.. ولا يبدو عليه الخوف منا لعله نشأ مدللًا عند أحدهم الذي دربه على تلك الحركات، ثم هرب وضل الطريق عن بيت صاحبه.

- أجل يا عزيزتي، فلم أرَ في حياتي شيئًا مثل هذا.. حسنًا أيها الفأر العزيز أرجو أن تفسح لنا الطريق حتى نمرَّ.

- لحظة يا (تومي)، إنه أليف، وأستطيع أن أحمله في يُسْرٍ.

وقبل أن يفكر (تومي) في منعها، انحنت (شارلوت) فوق الفأر، ومسحت على ظهره برفق، ثم حملته في رقة.

- إنه لهادئ وذكي يا (تومي).

- حسنًا، ولكننا لن نحتاج إليه يا عزيزتي. إننا لن ندير سيركًا للفئران في منزلنا. هلّا تركتيه يمضي؟!

- لن أحمله إلا لفترةٍ قصيرةٍ.

وفجأةً، أطلقت صرخةً:

- أوه.. لقد عضني اللعين في صدري.

قالتها وألقت به إلى الأرض، وجرى الفأر يمنةً ويسارًا، ونظر خلفه كأنما ليطمئن إلى أنهما لم يلاحقاه، ولكن الخطيبين كانا مشغولين عنه.

غمغم (تومي) بحنانٍ:

- هل آذاك اللعين يا حبيبتي؟

- لا.. كنت أحتضنه، فإذا به يعضني، لكنها خفيفة على أي حال.

وفجأةً، حانت من (شارلوت) التفاتة ناحية الفأر، فإذا بها تصرخ:

- إنه قادم إلينا ثانية!

كان الفأر مقبلًا بسرعة، ولكنه كان يقصد (تومي) هذه المرة. بدأ يصعد فوق بنطلونه، فضربه (تومي) بيده ضربة قوية، فتدحرج مبتعدًا، ولكنه ما لبث أن عاود الهجوم والشر يلتمع في عينيه، ولكنه ما كاد أن يقترب من (تومي)، حتى رفع ساقه، ثم هوى بحذائه فوقه، فسحقه على الفور، ثم ركله بعيدًا عن الطريق.

هتفت (شارلوت) بفزع:

- أوه.. (تومي).. أكان من الضروري أن...

نظر إليها وهو عابس متجهم الوجه، وقال:

- وهل كان أمامي خيار آخر؟! لقد جُنَّ بلا شك حتى يهجم عليَّ هكذا.. كان هجومه متعمدًا يحمل كل معاني التحدي والعدوان. أنصتي إليَّ يا حبيبتي. إذا كان هذا اللعين قد عضك في صدرك حقًّا وأحدث بك جرحًا، فعلينا أن نُسرع بالعودة فورًا حاملين معنا جثته ليفحصها أحد الأطباء، فربما كان مصابًا بالصرع أو داء الكلب.

وضحكت الفتاة:

- لا. إنه خدش بسيط.

وفجأةً، صاحت وهي تُصفّق بيديها جزلًا، وهي تشير إلى شيء بين الأعشاب:

- انظر يا (تومي).. هل ترى تلك السلحفاة الجميلة؟

أومأ (تومي) برأسه من دون اهتمام، وغمغم:

- أجل.. كأننا سنقضي يومنا في دراسة حيوانات العالم هنا!

وتنهدت الفتاة، وقالت:

- عندك الحق يا عزيزي. لقد قطعنا في سيرنا مسافة كبيرةً، ولستُ أدري لماذا شعرتُ بالتعب فجأة.. ولعلَّ موتَ هذا الفأر قد نال من أعصابي.

- إذنْ نجلس برهة فوق العشب لنستريح قليلًا.

* * *

كانا مخطوبين منذ عامٍ، وبعد أيام قليلة سيُعقد قرانهما. كان (تومي هوفمان) في الثامنة عشرة من عمره، قوي الجسم. أما (شارلوت) فكانت في السابعة عشرة من عمرها، وكانت كزهرة يانعة على جانب كبير من الأنوثة والجمال.

كانت أسرتاهما تتصلان بصلات الجوار والصداقة منذ أمد طويل، فتعارفا منذ الطفولة، ونما حبهما البريء يومًا بعد يوم. كانا يذهبان إلى

نفس المدرسة، بل ويجلسان جنباً إلى جنب في فصل دراسي واحد، فقد تخلف (تومي) عاماً دراسياً، فلحقت به (شارلوت).

لم يعارض أحدٌ من أسرتيهما أمر الزواج، ولكن اختلفا في تحديد موعد الزفاف، فقد كان (تومي) لا يميل كثيراً إلى الدراسة، وينوي أن يتفرغ لمساعدة أبيه في إدارة مزرعته، وخاصة أن أباه رجلٌ تقدم به السن، يعيش في فراغ بعد موت زوجته، وكان منزلهما كبيراً متعدد الحجرات، لذا كان يتلهف على أن تملأ زوجة (تومي) فراغ المنزل بضحكاتها، ومن حولها أحفاده يلهون.

ولكن أسرة (شارلوت) كانت ترغب في أن تتم ابنتهما دراستها أولًا، فالشهادة سلاح وضمان لمستقبل مجهول، والثروة قد تفنى، أما العلم فهو باقٍ. وأخيراً، توصلت الأسرتان إلى حل وسط، فقررتا أن يتم الزفاف في عيد ميلاد (تومي) الثامن عشر. وكان موعده بعد أيام .

جلسا خلف تلك الخميلة يتحدثان حديث الحب، وعرض (تومي) على خطيبته أن يسبحا في الغدير، ولكنها اعتذرت لتعبها، وقالت إنها تُفضل الاستلقاء في الشمس حتى يعود. فانطلق هو إلى ماء الغدير بعد أن خلع ملابسه، بينما استرخت هي على ظهرها، وعقدت ذراعيها تحت رأسها، وهي تفكر في منظر ذلك الفأر البهلواني الحركات. وما لبثت حتى أغمضت عينيها في إغفاءة قصيرة.

وكان هناك مَن يراقبها عن كثب.. رآها والنعاس يداعب جفنيها،

إلا أنه لم يسعَ إليها مباشرةً. كان ينتظر حتى يعود (تومي)، حيث يبدو الفتى فسيولوجياً أكثر قوةً وذكاءً.

* * *

الفصل الثَّاني

كان الماء دافئًا منعشًا، وكان (تومي) يشعر بلذة وهو يضرب الماء بساعديه القويين، حتى إذا ما ناله الإجهاد، خرج من الغدير وسرواله يقطر ماءً. مضى إلى حيث ترك خطيبته، ففوجئ بها نائمة. لم يشأ إزعاجها حتى تنال قسطًا من الراحة قبل رحلة العودة. تمدد بجوارها، وسرعان ما أغمض عينيه هو أيضًا ونااااام...

انطلق (الكائن) في الحال إلى عقل (تومي).

واجه في البداية مقاومة عنيفة، واشتبك في صراع رهيب مع عقله الباطن، ولكنه انتصر في النهاية.

لم يستغرب (الكائن) تلك المقاومة؛ فكلما ارتقت مدارك الوسيط، تضاعفت مقاومة عقله الباطن تجاه كل غريب يحاول السيطرة عليه.

منذ تلك اللحظة سيصبح الشاب مسلوب الإرادة، لا حول ولا قوة له. لم يبقَ للشاب سوى اسمه فقط، أما جسمه وروحه، فقد أصبحا ملكًا لذلك (الكائن) وتحت سيطرته. سيكون مصير (تومي) مثل مصير ذلك الفأر في اللحظة التي سيستنفد فيها (الكائن) غرضه منه. كذلك أصبحت كل ذكريات الشاب وكل ما اختزنه في عقله من معلومات طوال الثمانية عشر عامًا تحت تصرف (الكائن). كان (الشيء) في حاجة إلى وقت ليرتب تلك المعلومات ويختار منها ما يحتاجه لتنفيذ خطته. لا بُد من مكان منعزل حتَّى لا يقطع خلوته

عابر سبيل، ربما كان من الذكاء بحيث يفطن إلى ما أصاب (تومي) من تغيرات عقلية تثير الشكوك. راح (الكائن) يُفتِّش في عقل (تومي) بين أكوام مكدسة من الذكريات المدفونة في أعماق اللاشعور عن مكان أمين لا يعرفه سواه. ووجده.

كان هناك كهفٌ في بطن التل على بُعد نصف ميل فقط، كان الكهف صغيرًا، وكانت أرضه تفترشها الرمال الناعمة. كان (تومي) قد عثر عليه مصادفةً أثناء لعبه وهو في التاسعة من عمره.

تسلل في حذر حتَّى لا تشعر به (شارلوت).. كان هناك احتمال كبير أن يكتم أنفاسها وهي نائمة، إلَّا أن (الكائن) لا يُزهق الأرواح، إلَّا حين يكون ذلك ضروريًّا لإنقاذ حياته.

انطلق (تومي) حافي القدمين دون أن يرتدي ثيابه، يعدو إلى ذلك الكهف.

وبدأ (الكائن) يُدرك من خلال عقل (تومي) لماذا لم يهتم بفحص تلك السلحفاة الصغيرة التي أشارت إليها (شارلوت)، فقد كان شكل تلك القوقعة من أعلى يُشبه تمامًا ظهر السلحفاة الصلب حين تنكمش وتُدخل رأسَها في صدرها، وكانت صغيرةً لا يتجاوز طولها الخمس بوصات.

لقد أدرك الآن (الكائن) أيَّ خطر رهيب كان يتهدده لو اهتم (تومي) وقتها بفحص تلك السلحفاة المزيفة. كان (تومي) و(شارلوت) يحسبانه سلحفاة، وهذا لحسن حظه، بل إنه كان

السبب في نجاته من الهلاك، فلو أنهما فحصاها لذُهلا، لأنها لم تكن سلحفاةً قط!

كذلك لم تكن قوقعةً من النوع المألوف على الأرض، فقد كانت مصمتةً تمامًا بلا أي فتحاتٍ. ولو كان (تومي) حملها، لأقدم حتمًا عليٍ كسرها ليعرف ما تحتوي عليه بداخلها، ولكانت نهاية (الكائن)، حتى لو كان في تلك اللحظة يحتلُّ عقل أي وسيط، فالنتيجة المؤكدة كانت هلاكه هو والوسيط معًا.

كان مدخلَ الكهف صغيرًا، لذا زحف على يديه وركبتيه حتى يلجه. كان الكهف مظلمًا وكانت أشعة (الكائن) عديمة الجدوى طالما كان داخل جسم الوسيط، لذا فإن عليه الاعتماد على حواس الوسيط.

وما كاد (تومي) يصبح داخل الكهف، حتى صنع حفرة في رمال الكهف الناعمة، ودفن فيها شيئًا ما، ثم أهال عليه الرمال، وسواها بعناية، ثم زحف بعدها خارجًا، وجلس أمام الكهف تخفيه الأعشاب النامية من حوله.

لم يعد هناك داعٍ للخوف بعد أن أودع نفسه مكانًا أمينًا لا يعلم به مخلوق. الآن يستطيع أن يقرأ أفكار الشاب.

بعد لحظات أدرك (الكائن) بعد أن ألقى نظرة على تلك المعلومات التي تملأ رأس (تومي)، أن (تومي) ليس بالوسيط المثالي الذي يبحث عنه للوصول إلى هدفه، فمن الناحية العلمية كانت معلوماته لا قيمة لها

وثقافته تافهة، واستقر (الكائن) أنه قد يصلح كوسيط مؤقت حتى يجد الأفضل.

* * *

الفصل الثَّالث

استيقظت (شارلوت) فجأةً من نومها، وهيِ تحس بقشعريرة قوية تسري في جسدها. وما إن فتحت عينيها، حتّى أدركت لماذا كانت ترتجف، فقد كانت عندما نامت تغمرها أشعة الشمس الدافئة، أما الآن فهي ترقد في ظلال الأشجار، بينما مالت الشمس إلى الغروب. رفعت معصمها لتنظر في ساعتها، وإذا بها تكتشف بدهشة أنها قد نامت ثلاث ساعات كاملة، وهذا يعني أنها تأخرت ساعة كاملة عن موعد العشاء مع أسرتها، ولا بد أنهم سينزعجون لتأخرها. تلفتت حولها، فلم تجد لتومي أثرًا مع أن ثيابه موجودة. فكرت أنه لا يمكن أن يذهب بعيدًا دون ثيابه، فربما كان يستند إلى جذع شجرة قريبة يقرأ كتابًا، ولأنه لا يحمل ساعة في معصمه، فهو لم يشعر بمرور الوقت. نادته.. وأعادت النداء بصوت مرتفع، ومع ذلك لم تلقَ جوابًا.. لماذا لا يستجيب لندائها؟ هل يريد إخافتها؟ هل سيظهر فجأةً خلف ظهرها وهو ينفجر ضاحكًا ويعتذر لها؟! عادت تصيح بأعلى صوتها:

- أين أنت يا (تومي)؟

وبدأ القلق يأكل قلبها، فمضت تبحث عنه عند الغدير. محالٌ أن يكون قد غرق؛ فهو يجيد السباحة، ومياه الغدير غير عميقة. أخذت تفكر: رباه ماذا حدث له؟ أيكون قد تعرض لإغماء مفاجئ؟ ولكن هذا مستحيل؛ فإنه قوي الجسم، ولم يسبق له أن اشتكى من مرض. هل وقع له حادث؟

لقد ابتعدت مئات الأمتار عن المنطقة التي بدأت منها.. شعرت بالذعر.. لا بد من نجدة! اندفعت (شارلوت) تجري وحيدة في طريق القرية.. تجري تارة حتى تنقطع أنفاسها وتهرول تارة أخرى والأفكار المرعبة تهاجمها.. لا بد أنها ستتعرض للتوبيخ من أهلها لتأخرها حتى هذا الوقت مع خطيبها، ولكنها أمور قليلة الأهمية بالنسبة لضرورة البحث عن (تومي). كانت تتخيل الفضيحة التي ستتعرض لها وما ستلوكه الألسن عن قصتهما، ونظرات الشك التي ستحرقها من أسرتها بسبب غيبتها الطويلة مع خطيبها حتى حلول المساء، وما فيه من خروج عن العادات وحسن السلوك وأين؟ في مكان بعيد غير مطروق، ثم تلك الثياب التي تركها وراءه والتي لا بد من الإشارة إليها لتكون نقطة البحث عنه.

كان والداها يجلسان إلى المذياع في غرفة المعيشة حينما اندفعت نحوهما كالصاروخ متعبة منهكة لاهثة الأنفاس مشعثة الشَّعر. هتف بها الأب غاضباً:

- شيء جميل جدًّا.. أخيرًا عرفت أن لكِ...

واندفعت (شارلوت) تقص عليه ما حدث. نهض الأب بسرعة، واتصل بـ(جاس هوفمان) والد (تومي).

أنصت (جاس)، ثم وضع السماعة وهو يغمغم عابسًا:

- إنني آتٍ على الفور.

انطلق (جاس) إلى خزانة ثياب (تومي)، والتقط منها قميصًا كان قد خلعه في الصباح ولم يُغسل بعد، حتى يستعين بكلبه (باك) في اقتفاء الأثر. حمل (جاس) معه القنديل المقاوم للهواء، ثم اصطحب كلبه واتجها إلى مزرعة (جارنر) الذي كان واقفًا مع ابنته (شارلوت) في انتظاره. هتف (جاس) بالفتاة مباشرة وبحدة:

- هل سلكتما ذلك الطريق الذي يبدأ من الجسر شمالًا؟

كان (جارنر) يحمل بندقيته بذراعه الأيسر، ومصباحًا في يده اليمنى. أجابت (شارلوت):

- أجل يا مستر (هوفمان). سوف أرافقكما حتى أريكما أين كنّا و...

وقاطعها أبوها بحزم:

- بل ستبقين هنا. لن يمكنكِ الإسراع بنا وأنتِ مرهقة بعد أن قطعتِ الأميال الثلاثة عدوًا.

وقال (هوفمان):

- أجل ليس هناك ما يدعو لمجيئكِ. فلن نحتاج إليكِ، وهذا (باك) معنا سوف يقودنا إلى مكان ثيابه، وبعدها سوف نفتش عنه المنطقة كلها.

سأله (جارنر):

- لماذا لا نستعين بسيارتي في قطع نصف المسافة توفيرًا للوقت، ثم نمضي النصف الآخر سيرًا في الغابة؟

أجابه (جاس):

- لعلك نسيت طبع (باك)! فهو لا يخشى طلقات المدافع بقدر ما يخاف من السيارات، ويفزع من مرآها، ولو أرغمناه على الركوب بالقوة، لأرهقنا كثيرًا حتى نمنعه من القفز منها. هيا بنا.. الأفضل أن نمشيها.

وانطلق الرجلان في الطريق، وكان القمر بدرًا فلم يحتاجا لإضاءة المصابيح إلا حين يمضيان بين الأشجار.

سأل (هوفان) رفيقه:

- لماذا أحضرتَ بندقيتك؟ هل تعتقد أن عصابة من المجرمين قد خطفت الفتى؟

- لا. ولكني أخشى الليل يا (جاس)، والسلاح خير رفيق حين نسير في الغابة، وإن كنتُ لا أتوقع أن يهاجمنا شيء.

وانطلقا بعد ذلك صامتين، حتى لاحت أضواء سيارة قادمة تجاههما في الطريق، فشدد (هوفان) قبضته على مقود الكلب، كما أمسكه من رقبته حتى لا يفر مذعورًا، وأبعده عن الطريق حتى مرت السيارة.

بعد أن قطعا شوطًا في الطريق، أطلق (هوفان) الكلب بعد أن جعله يشم قميص (تومي)، وحثه قائلًا:

- هيا.. اعثرْ عليه يا (باك).

واندفع الكلب يشم الأرض، وبعد فترة توقف يشم شيئًا. سلط (هوفمان) مصباحه عليه، وقال:

- أحد فئران الحقول نافقٌ ومهشمٌ.. لا بد أن رائحته قد استفزت حواس الكلب.

قال (جارنر):

- لقد أخبرتني عنه (شارلوت). وعثورنا على هذا الفأر يؤكد أننا نسلك الطريق الصحيح، بل وأننا اقتربنا من المكان الذي كان يجلسان فيه.

وقص على رفيقه حكاية الفأر. فقال (جاس):

- أمر مضحك..لم أسمع عن فأر يفعل ذلك أبدًا.. أخبرني هل تعتقد أنه كان مصابًا بداء الكلب؟ أنت تقول إنه تسلق ساق (تومي)، فأزاحه بيده. هل تظن أنه قد عضه بنابه في أحد أصابعه فأحدث به جرحًا دون أن ينتبه لذلك؟

- ماذا جرى لتفكيرك يا رجل؟! ألا تعلم أنه حتى ولو كان هذا الفأر مصابًا، فإن الأعراض لن تظهر بعد دقائق، بل تحتاج إلى أيام لتبدأ.

عاد (هوفمان) يقول:

- على أي حال، سوف أفحص أصابع (تومي) عندما نجده، وإذا وجدت أي خدش، فسنعود لنحمل معنا جثة ذلك الفأر لفحصها.

هيا يا (باك)

اندفع الكلب مرة أخرى حتى وصل إلى ثياب (تومي).

قال (هوفمان) بصوت متألم:

- كنت أرجو ألا أجدها مكانها. كنت آمل أن يكون قد عاد بعد انصراف (شارلوت) وارتداها، ثم مضى إلى البيت من طريق آخر.

دار الكلب حول الشجيرات، ثم استأنف سيره.

حملا الثياب، وانطلق الرجلان خلف الكلب، كان لا بد من الإمساك بالمقود، حتى لا يسرع ويغيب عن بصرهما في هذا الليل.

* * *

الفصل الرابع

جلس (الكائن) يقرأ أفكار (تومي) على مهل بدأ يعرف كل شيء عن «الأرض» التي هبط عليها. عرف أنها تتكون من يابسة وماء، وأنها بها خمس قارات، وأن القارة تحتوي على شعوب وحكومات، لكل منها عاصمة، كما عرف أنه الآن في منطقة ريفية تُدعى (بارتسفيل)، وهي جزء من دولة تُسمَّى الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الكائن يعرف الآن كل إنسان في هذه المنطقة، بل لقد دخل كل البيوت وعرف مداخلها ومخارجها، وماذا يأكلون؟ وأين ينامون؟! والأهم أنه أدرك أن الإنسان هو أفضل مخلوقات الأرض وأذكاها. عرف أن هناك أناسًا قد أوتوا قدرًا كبيرًا من العلوم- وكانت معلومات (تومي) تافهة في الكهرباء- ولكن كان في ذاكرته أسماء لعدة أساتذة لامعين في الاكتشافات والأبحاث الكونية.

شعر (الكائن) بالسعادة، فإنه يهتم كثيرًا بكل من يدرس الكهرباء والإلكترونات، وقد عرف أن في كل بيت مذياعًا كما انتشرت أجهزة التليفزيون، وإذنْ لا بد من وجود أناس تدربوا على صنعها وإصلاحها.

لقد تحدد هدف (الكائن) الآن.. لا بد أن أعثر على أحد الدارسين في الكهرباء والإلكترونيات. إنه ليشعر بثقة واطمئنان أنه سيصل إليه.. وبأي وسيلة! إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنه بها العودة إلى أهله ووطنه.

لقد هبط من كوكب يبعد عنا ثلاثة وسبعين سنة ضوئية في اتجاه مجموعة (أندروميدا). لم يأتِ إلى هنا بإرادته أو كرسول يستكشف ما يدور في الكواكب الأخرى.. بل أتى إلى هنا طريدًا بعد أن حُكم عليه بالنفي والتشريد جرَّاء جريمة ارتكبها هناك، لذا فهو لم يصل إلى الأرض بإحدى سفن الفضاء، بلِ جاء محمولًا فوق أشعة طويلة بعيدة المدى حتى لا يعود إليهم أبدًا.. لم يكن اختيارهم للأرض مقصودًا، ولعل الأرض هي التي صادفت تلك الأشعة الطاردة فارتطمت بها عفوًا.

أكانوا يقصدون هلاكه عقابًا على جرمه الخطير؟ لقد خاب ظنهم فهو يشعر بالأمل ينتعش في نفسه بأنه سيعود إلى الوطن ثانية. سوف يكافح حتى يحقق تلك الأمنية العزيزة.. كان هناك سببان أشعلا في نفسه ذلك الأمل: أولهما حسن حظه حينما اختارت الأقدار له كوكبًا مأهولًا. حقًّا إنهم من طراز غريب عنه يختلفون كلية عن بني جنسه، ثم إن على هذا الكوكب الغريب حضارة يصحبها علم وفكر، ربما كانت أقل مستوى مما وصل إليه قومه، ولكنه سوف يبحث بكل قوة عن أحد الأساتذة المتخصصين في الإشاعات الكونية، ثم يتسلل إلى عقله، ويجعله يتوصل إلى اكتشاف أشعة كونية بعيدة المدى تنقله عبر الفضاء إلى حيث ينتمي. أما السبب الثاني فهو ثقته في أنهم هناك سيرحبون بعودته.. سيغفرون له ذنبه، وربما كرموه وقلدوه أرفع المناصب.. سيكون حدثًا هامًّا في تاريخهم لو استطاع العودة إليهم بجهوده.. سوف يخبرهم عن ذلك الكوكب الأرضي الغريب

الذي ينتقل فيه «الوسطاء» على قدمين، وربما حمل معه نموذجًا حيًّا يُجرون عليه أبحاثهم، وبذلك سيكون له الفضل في وضع خطة لحملة كبيرة تحتل الأرض وما عليها من بشر!

شعر (الكائن) بالغضب يجتاحه، وقد أدرك أنه بدأ بداية خاطئة كان يستطيع أن يتفاداها بقليل من التريث، فهو لم يحسب حساب «العقلية الآدمية» التي يثيرها كل غامض محير.. ماذا تكون الفتاة قد فعلته الآن؟

إنه ليدرك الآن وهو يفكر بطريقة (تومي) الإنسان، إنه لم يكن هناك داع لأن يجعله يتصرف بطريقة شاذة تلفت إليه الأنظار، كان في وسعه أن يجعله يحمله إلى الكهف ويُخفيه، ثم يعيده للنوم مرة أخرى بجوار خطيبته دون أن يتذكر شيئًا مما فعل. بعدها يستيقظان ويعودان معًا.

كان يجب عليه لو أنه تأنى في التفكير أن يفعل ذلك، وبدأ يفكر في مخرج من تلك الورطة.

لا يهم.. لسوف يتصرف حسب الظروف.. ففي إمكانه أن يزعم بأنه انطلق بعد استحمامه إلى مكان مشمس، ونام فيه، ولما عاد لم يجدها، فارتدى ثيابه وعاد من طريق آخر.

وبدأ في التحرك، إلا أنه فوجئ بمصباحين يظهران في الظلمة الحالكة، متجهين نحوه.. تعرّف (الكائن) على كلبه وأبيه ووالد خطيبته.

وانتابه الذعر! لو عُرفا مكان الكهف، ربما فتَّشاه وحينها سيعثران على «القوقعة». لا بد أن يبعدهما عن الكهف بأي طريقة.

فجأة وثب (تومي)، حتى أصبح في مواجهة الضوء. نبح الكلب في سرور. هتف أبوه بدهشة:

- (تومي)، ما معنى...؟

لم ينتظر حتى يسمع حديث أبيه، بل استدار ليعدو مبتعدًا عن الكهف. سمعهما يعدوان خلفه، وهما يهتفان:

- (تومي)، قفْ.. (تومي)!

وانطلقا خلفه يتبعانه، ولكن ما لبثت المسافة أن تباعدت بينهم، حتى أمسى مجرد شبح يجري من بعيد. لم يكن يجري بين ظلال الأشجار، بل كان يعدو في الأرض المكشوفة حتى يمكنهما من رؤيته في ضوء القمر.

توقف (تومي) لحظة ليلتقط أنفاسه اللاهثة، وفجأة لمح تحت قدميه تلك المدية، فانحنى عليها.. أمسك بها.

عالج فتحها في عناء، وأخيرًا أفلح في إخراج نصلها المكسور.

وبلا تردد ضرب النصل بقوة قاطعًا شرايين يده!

وعندما وصل إليه الرجلان ومعهما (باك)، كانت الدماء الغزيرة تنزف منه، وكان يلفظ أنفاسه الأخيرة.

مات الوسيط، وانطلق (الكائن) يختفي آمنًا في «قوقعة» مدفونة في رمال الكهف الناعمة.

* * *

الفصل الخامس

ليلة رهيبة يجللها الحزن، تلك التي مرت بـ(جاس هوفمان).

جلس بجوار جثة وحيدة، والألم يمزق قلبه بينما انطلق (جارنر) في طلب النجدة من القرية. استمعت (شارلوت) إلى الخبر من أبيها في وجوم، ولكن بشجاعة، فقد كان قلبها يحدثها منذ أن اختفى (تومي) أنها لن تراه حيًّا بعد اليوم. اتصل (جارنر) تليفونيًّا بقاضي التحقيق، وسرعان ما أقبل ومعه شريف المقاطعة في سيارة إسعاف لحمل الجثة. رافقهما (جارنر) ليرشدهما إلى مكان الجثة.

وعلى الرغم من أن الحادث كان واضحًا كواقعة انتحار في لحظة اضطراب عقلي مفاجئ، إلَّا أن الشريف أصر على أن يتخذ هذا القرار مجلس تحقيق؛ لعلهم يصلون إلى السبب في ذلك الاضطراب العقلي المفاجئ، الذي يجعل شابًّا عُرف عنه الهدوء أن يختم حياته بيده على هذه الصورة العنيفة.

وأيضًا كان هناك لغز أداة الانتحار المدية ذات النصل المكسور، فقد أكد (هوفمان) بأنه لم يرها من قبلُ وأنها لا تخص ابنه، وأضاف (جارنر) أن الفتى كان يعدو أمامهما في ضوء القمر، ويداه مفتوحتان لا يحمل فيهما شيئًا، مما يرجح أنه التقط المدية من مكان الحادث، ولكن كيف استطاع أن يعثر عليها في هذا الظلام؟

وهكذا عاد (هوفمان) إلى بيته وحيدًا يجتر أحزانه ودموعه.. وكانت

الساعة الواحدة صباحًا، فشعر للمرة الأولى بالوحشة والسكون الغريب. ظل يتقلب في فراشه حتى الصباح.

وعند الفجر، استيقظ وصنع فنجانًا من القهوة، وأرغم نفسه على أن يذوق نصف كعكة، ثم ذهب لحلب أبقاره، وقام بالضروريات من ترتيب البيت.

مر (هوفمان) على جاره (جارنر) الذي كان يعمل في حديقة داره. ابتدره:

- كيف حال (شارلوت)؟

- ما زالت نائمة... فقد جفاها النوم حتى قبيل الفجر. إلى أين تذهب مبكرًا هكذا؟

- سأعود إلى... إلى ذلك المكان حيث كنا.. ليلة أمس!

- لماذا؟!

- سألقي نظرة على المكان في ضوء النهار، فربما يكون قد غاب عن ملاحظتنا شيء في ظلام الليل.

- سأمضي معك، فليست بي رغبة للعمل في الحديقة.

* * *

كان (الكائن) ساخطًا غاضباً من نفسه، لأنه تعجل وجعل (تومي) ينتحر، وبذلك أفلت منه أول وسيط آدمي، ولكنه كان معذورًا

وهو يجهل التطورات المحتملة في عالم غريب عنه، لم يمضِ فيه إلا ساعات قليلة، وصدمته الحقيقة المؤلمة.. كان في وسعه بعد أن ابتعد بمسافة كافية عن الكهف أن يجعله يسقط على الأرض ويتظاهر بالإغماء، فيعثر عليه الرجلان، ثم يتظاهر بأنه لم يدرِ ما فعله، عندئذ سوف يعرضونه على أحد الأطباء، ولكن ربما اقتضى الأمر حجزه في المستشفى. يا للسماء! إن هذا الاحتمال هو الذي أصابه بالذعر، وجعله يقتل (تومي)، فقد كان أشد ما يخشاه أن ينتهي به الأمر إلى غرفة محكمة في مستشفى الأمراض العقلية وسط حراسة مشددة، وعندها سوف يهلك. سيعاني من آلام الانتظار الممل، حتى يقع في شباكه وسيط آدمي آخر. ولكن كيف ومتى؟ فقلما يأتي الناس إلى هذا المكان الموحش. إذنْ لا مناص من الاستعانة بأحد الحيوانات، لينقله إلى مكان قريب من الناس. لقد علم مِن (تومي) أن هذا المكان مليء بالحيوانات والطيور أيضًا.

وفجأةً، انتبهت حواسه.. وحملت إليه ذبذبات الهواء أصوات أجسام تقترب. اثنان يسيران على قدمين، وثالث يدب على أربع. وعرفهم (الكائن)، وتعجب: لماذا عادوا؟

شعر (الكائن) بالخطر والعجز، ولكنهم لو وصلوا إلى الكهف على أسوأ الفروض، فلن يخطر ببالهم أن يحفروا تحت الرمال. فكر أن يحتل جسد أحد الأرانب النائمة في أوكارها، ويجري ليضلل الكلب عن الكهف، ولكنه أدرك عدم جدوى تلك المحاولة؛ فالكلب مربوط إلى مقوده.

وصل الكلب وهو يتشمم الأرض إلى مدخل الكهف. هتف (هوفمان) متعجبًا:

- يا للشيطان! لقد كان في هذا الكهف إذنْ! ليتنا جئنا معنا بسلاح ومصباح.

وفهم (الكائن) الحديث، فقد استطاع من خلال عقل (تومي) أن يفهم اللغة التي يتخاطبون بها.

قال (هوفمان):

- مهما كان الأمر، سأدخله لأرى ما فيه.

- صبرًا! سأدخل خلفك، ولكن ينبغي أن تكون على حذر.. اترك (باك) يدخل أوَّلًا، فإذا كان هناك شيء، فإنه سيلفت نظرنا وينبهنا إليه لنأخذ حذرنا.

قرر (هوفمان) أن يرسل كلبه داخل الكهف. بعد لحظات تبعاه إلى الداخل. كان الكهف غارقًا في الظلام، ولكن ما لبثت عيناهما أن تعودت عليه. وتمدد الكلب باسطًا ذراعيه على أرض الكهف. كان الجري قد أنهكه، فنام.

غمغم (هوفمان) بأسى:

- هذه هي نهاية المطاف إذنْ. المكان رطب وهادئ كأنه صومعة عابد. هيا نجلس برهة لنريح أقدامنا قبل أن نعود أدراجنا.

كان (الشيء) يتأمل الكلب. كانت فرصة ذهبية له، إلا أنه آثر أن ينتظر، فلو انطلق إلى عقله، فلن تتوافر له إلا قدرات الكلب الذهنية فقط.

قال (هوفمان):

- تُرى ما سبب مجيئه إلى هذا المكان؟

- أنت تعلم أن من المستحيل أن نتصور ما يدور في عقل الإنسان لو أصابه خلل مفاجئ.

- ربما جاء هنا ليختفي من الناس، أو لعله جاء ليُخفي شيئًا عن الناس، أو ليأخذ شيئًا أخفاه هنا من قبل. لا تسألني ماذا يكون، فلست أدري، ولكنه أمر محتمل؛ فالأرض هنا رملية ناعمة من السهل حفرها.

لم يقاوم الكلب كثيرًا.. وفي لحظات احتل (الكائن) عقله. فتح الكلب عينيه ورفع رأسه. كان يفكر أن بإمكانه أن يقتل الرجلين معًا، أو على الأقل أن يعضهما حتى يحول بينهما وبين الحفر. ولا شك أنهما سيغادران الكهف على الفور وبأقصى سرعة؛ لاعتقادهما بأن الكلب قد أصابته لوثة.

فجأةً، سمع (جارنر) يقول لرفيقه:

- ليس الآن، فبالرغم من أنني لست واثقًا من أننا سنعثر على شيء هنا، إلا أنني سوف أرافقك في صباح الغد؛ فالدنيا هنا ظلام، ومن

العبث أن نخرج بنتيجة دون مصباح.

- أظنك على حق!

خرج الرجلان إلى الطريق يتبعهما الكلب كما تعود أن يفعل. وما إن وصل الرجلان إلى بيتيهما، حتى انطلق الكلب عائدًا بسرعة إلى الكهف. دلف إلى الداخل، وراح يحفر في الرمال الناعمة، ثم أمسك بالقوقعة الصغيرة في رفق بين أنيابه، ثم راح يهيل التراب على الحفرة، وسوَّاها جيدًا، ثم تمرغ عليها أيضًا. بعدها خرج بها، ثم انطلق يعدو حتى وصل إلى الطريق العام. وهناك في فجوة طبيعية عند أسفل إحدى الأشجار الضخمة، وضع القوقعة وغطاها ببعض الأغصان الجافة

الآن ليس أمامه سوى أن يموت الكلب. وقف الكلب عند أول الطريق، وما إن لمح سيارة قادمة من بعيد، حتى اندفع نحوها.

بعد دقيقة واحدة كان (الكائن) في قوقعته. لم يكن في تلك اللحظة يعرف أن قائد السيارة التي صدمت الكلب هو (رالف ستاونتون) أستاذ مادة الطبيعة الحيوية في معهد الدراسات العليا بجامعة (ماساشوتس).

* * *

الفصل السادس

ضغط على فرامل سيارته بقوة. كان يشعر بالضيق وعدم الارتياح. تُرى ماذا أصاب ذلك الكلب حتى يندفع كالصاروخ تحت عجلات السيارة؟ هل أصابته لوثة أم كان يجري أصم الأذنين مغمض العينين؟ أوقف محرك سيارته وخرج من بابها ومشى عائدًا إلى الكلب؛ لعله لا يزال حيًّا. وها هو يراه من بعيد ممددًا في عرض الطريق. غمغم يقول برقة:

- معذرة يا صديقي العجوز! أنت الذي كنت تبحث عن حتفك.. وعلى كل حال، سأحاول العثور على صاحبك.

ومضى نحو سيارته، فأحضر غطاءً من المشمع، لف فيه الجثة، ثم وضعها في مؤخرة السيارة. وفي المدينة راح يتردد على عدة متاجر يشتري منها حاجياته ويخبرهم بأوصاف الكلب. وأخيرًا عرف أنه يخص (جاس هوفمان) الموجود الآن في المدينة؛ ليشهد جلسة التحقيق في وفاة ابنه (تومي) بمجلس المدينة، فانطلق إلى هناك.

كانت الجلسة قد بدأت منذ قليل، وكانت القاعة تغص بالناس. استمع بفضول إلى وقائع تلك القضية العجيبة، وشهادة خطيبته وأبيه. وانتهت الجلسة إلى أنها واقعة انتحار في لحظة جنون مفاجئ.

اقترب الدكتور (ستاونتون) من شريف المدينة، وقدَّم له نفسه، وقصَّ عليه حكاية الكلب، ثم طلب منه أن يلقاه بعد قليل في حانةٍ

قريبةٍ. وبعد دقائق كان الرجلان يجلسان معًا.

قال الشريف:

- أقترح عدم إخبار (هوفمان) الآن بما وقع لكلبه، فإنه في حالة نفسية سيئة.

- معك حق. هذا ما خطر ببالي أيضًا. سأدفنه بمجرد عودتي.

- هل قلتَ إن الكلب خرج عليك فجأة من الطريق، واتجه نحو السيارة مباشرةً؟

- ذلك ما حدث فعلًا.

- أمر غريب.. غريب جدًّا يا دكتور.. كلنا نعرف أن (باك) كان لا يطيق رؤية سيارة أمامه، فلماذا فعل ذلك إذنْ؟ ولكنك لم تخبرني أين تقيم يا دكتور؟

- في تلك الدار الريفية التي تُدعى «بيت بورتون»، على بعد عشرة أميال من هنا.

- أجل أنا أعرفه. هل تقيم بمفردك أم...؟

- بل أقيم بمفردي. فأنا لم أتزوج بعد. الواقع أنا لم أفكر في ذلك، وقد خصصت وقتي كله للبحث وإلقاء المحاضرات.

- ما فرع تخصصك يا دكتور؟

- الطبيعة النووية، وبخاصة الإلكترونات. وأنا الآن في عطلة

قصيرة للاستجمام والراحة وصيد السمك.

- أتقصد الصواريخ؟

- لا.. إنما أجهزة الإرسال والاستقبال التي تعمل في الأقمار الصناعية، ولي أبحاث حققت نتائج باهرة، أمّا الآن فأنا مهتم بصيد السمك.

- مدينتنا مشهورة أيضًا بصيد الظباء البرية.

- شكرًا لك. ولكني لست ممَّن يحسنون صيد الحيوانات البرية، وإن كنت أحضرت معي مسدسًا وبندقية، لكنهما للمران فقط وقتل الثعابين التي سمعت أنها كثيرة هنا.

وانصرف الشريف إلى عمله، بينما غرق (ستاونتون) في أفكاره.. ثلاث حالات انتحار في ظروف مريبة أو على الأقل غير طبيعية. بدأت بالفأر، ثم (تومي هوفمان)، وأخيرًا الكلب. ومع ذلك يبدو أنها لم تثِر اهتمام أحد من المسؤولين هنا. كان الدكتور الذي قرأ بعض كتب علم النفس لا يستطيع الاقتناع بفكرة تحول شخص من الرزانة التامة إلى الجنون المطبق في غمضة عين! وهبَّ الدكتور واقفًا وقد قرر أن يعرض جثة الكلب على أحد الأخصائيين؛ للتأكد من خلوها من أي جراثيم.

بدأ جولته بالذهاب إلى المعمل الكيميائي، حيث ترك جثة الكلب ودفع قيمة الفحص مقدمًا، حتى يمكن إخطاره تليفونيًا في اليوم

التالي، ثم مضى إلى أحد المطاعم الشهيرة، حيث تناول عشاءً شهيًّا، وبعدها شاهد فيلمًا استعراضيًّا فرنسيًّا، ثم عاد الدكتور إلى بيته الريفي في العاشرة مساء، وهو بيت متوسط الحجم به ثلاث غرف للنوم، تحيطه حديقة صغيرة. كان البيت يُضاء بالكهرباء عن طريق مولد كهربائي صغير موجود في الدور السفلي.

كانت هناك مساحة صغيرة حول الدار على شكل حديقة، وكانت حولها أرض بور، نمت فيها الحشائش البرية وبعض الأشجار المتصلة بالغابة القريبة.

جلس إلى مقعده المريح يقلب صفحات كتاب.. وأحس فجأة بأنه ليس وحيدًا في الدار وأن هناك مَن يُراقبه. نهض وأنزل الستائر المعدنية على النوافذ، حتى لا يقطع عليه أي إنسان خلوته. كان ذلك

الشعور الذي راوده يبعث على الضحك حقًّا، فأي إنسان يمكن أن يتحمل عناء الوصول إلى تلك الدار النائية، لمجرد أن يقف في العراء وفي تلك الساعة المتأخرة من الليل لينظر إلى إنسان يجلس يقرأ في بيته؟!

حاول الدكتور أن يُعاود القراءة، إلا أن قضية (تومي هوفمان) كانت تسيطر تمامًا على تفكيره.

بعد فترة، شعر بالتعب، فنهض لينام!

* * *

الفصل السابع

ما زال (الكائن) كامنًا في تلك الفجوة العميقة عند قاعدة الشجرة الضخمة في الغابة الكثيفة في ذلك المكان الذي أودعه فيه (باك) منذ يومين، قبل أن يقتل نفسه باندفاعه الأحمق نحو السيارة.

في صباح اليوم التالي، كان (الكائن) قد تسلل على عقل أحد الغربان الذي كان نائمًا على غصن الشجرة المقابلة له مباشرة. طار الغراب محلقًا به فوق جميع المزارع المتناثرة في المنطقة. أخذ الغراب دورة واسعة فوق المدينة، ثم وقف يستريح برهة فوق أسطح أحد المنازل التي تطل على الميدان الكبير، وهو يسترجع في ذاكرته كل ما عرفه من عقل (تومي) عن المدينة. ثم طار شرقًا حتى آخر بيت على الطريق، وكان (تومي) يظنه مهجورًا، أما الغراب فقد لاحظ أن ثمة سيارة «ستيشن واجن» تقف أمام الباب. وكان أهم ما جذب اهتمامه في المدينة ما علمه من وجود محل لإصلاح أجهزة الراديو والتليفزيون. إذنْ لا بد أن صاحبه على دراية ولو بسيطة بالكهرباء، وبالتالي فهو يصلح أن يكون وسيطًا ولو مؤقتًا. ولكن (تومي) لم يكن يعرف اسم الرجل، ولا أين يسكن، وكان الغراب لا يستطيع أن يظل محلقًا فوق المزارع والدور حتى يجده، فهناك احتمال أن يصيبه حادث لا يتوقعه وهو بعيد جدًا عن قوقعته فيهلك. كان الغروب قد أقبل، لذا قرر (الكائن) أن يعود إلى قوقعته. طار الغراب عاليًا وبسرعة، حتى اصطدمت رأسه في جزع شجرة ومات.. وعاد

(الكائن) إلى قوقعته.

قضى (الكائن) معظم النهار التالي يتأمل حيوانات الغابة؛ ليختار أيهم سيكون وسيطه التالي. وفجأة .. شعر بالجوع أو بمعنى أدق شعر بحاجته لأن يتزود بالغذاء الذي اعتاده فوق كوكبه، وأنه لا يتزود بهذا الطعام إلا مرة كل بضعة شهور. كانت تلك الكائنات تتغذى بامتصاص مركبات عضوية ذائبة في الماء، عن طريق التشبع المباشر، دون أي جهاز هضمي، ولذا لم يكن هناك بد من المكوث ساعات طويلة تحت الماء كل يوم، لامتصاص غذائها، ولكن أحد علمائهم توصل إلى تجهيز سائل معين، يعطيهم طاقة وحيوية تستمر بضعة شهور. لذا كان من الضروري أن يبحث (الكائن) عن الوسيط المناسب الذي يمكنه أن يعد له هذا الغذاء. كان لا بد لهذا الوسيط أن يكون مقيمًا بمفرده في بيته، حتى لا يلفت ما سيعده من غذاء انتباه أحد.

كان أول من خطر له هو (جاس هوفمان) والد (تومي)، إلا أن مزرعته كانت بعيدة جدًا، وهو لا يريد المخاطرة بالابتعاد عن قوقعته.

كانت أقرب البيوت إليه يسكنها زوجان عجوزان (سيجفريد) وزوجته (إلزا)، كان هذا الرجل صارمًا، لا يسمح بتدخل زوجته في أي من أموره، وبالتالي إذا حدث أن استيقظت زوجته العجوز، وهبطت من غرفة نومها لترى ما يفعله زوجها بمفرده في المطبخ في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وصاح فيها يأمرها أن تعود فورا إلى

فراشها، وألّا تتدخل فيما لا يعنيها، فسوف تُطيعه دون ترددٍ. وعندما حل الليل، تسلل (الكائن) إلى عقل بومة، ثم بدأ يختبر قدرتها على الطيران، وهي تحمل قوقعته، لذا فقد جعلها تطير وهي تحمل قطعة صغيرة من الحجارة البيضاوية الملساء التي تقارب قوقعته في الشكل والوزن، حتى إذا اطمأنَّ إلى استطاعته، فعل ذلك حتى اتجه بها إلى الفجوة، وجعلها تستخرج القوقعة من مخبئها، وبصعوبة وبطء طارت البومة حتى وصلت بحملها إلى البيت.

أودعت البومة القوقعة أسفل درجات السلم الخشبية مخفية عن الأنظار. كان البيت ساكنًا، وكان دور البومة قد انتهى، لذا فقد جعلها (الشيء) تطير عاليًا، ثم تهوي في اتجاه حائط البيت الصلب، إلّا أن البومة أخطأت فأغمضت عينيها تلقائيًا واصطدمت بزجاج نافذة في الطابق العلوي، ثم سقطت داخل البيت في حالة إغماءٍ مع كسر في أحد جناحيها. اشتعل مصباح كهربائي في الغرفة، ثم فُتح الباب، وظهر (سيجفريد) الكهل وزوجته. كانت البومة مصابة بشدة، إلا أنها لم تمت. غمغم (سيجفريد) باستغراب:

- بومة حمقاء تنطلق هكذا كالرصاصة وتُحطم زجاج نافذتي.. انتظري حتى آتي ببندقيتي و...

هتفت زوجته:

- ولكن لماذا تقتلها؟ إن البومة من الطيور النافعة للإنسان و...

وسمعها (الكائن)، وفجأة تحركت البومة وتحفزت للانقضاض عليها.

ذُعرت الزوجة، بينما هتف بها زوجها:

- احذري يا (إلزا). ابتعدي عنها، وعودي إلى فراشك، فربما وثبت فجأةً على وجهك، وأحدثت بك إصابة، ثم أي فائدة من الإبقاء عليها وقد كُسر جناحها كما ترين؟

ثم اندفع إلى الداخل، وعاد حاملًا بندقيته، وبسرعة أطلق عيارين على البومة الشرسة.

عاد (الكائن) إلى قوقعته الآن. ولكنه كان يرى بحاسته الخاصة ما يدور في البيت من حديث بين الزوجين، حيث وضع (سيجفريد) البندقية بجوار الحائط، وكانت زوجته قد سبقته إلى الفراش، فأطفأ النور وهو يقول:

- عجبًا لتلك البومة! لا بد أنها جُنَّت أو أصابها العمى.

- ولكن البوم يُبصر بالليل.. لقد كانت عيناها تحدقان فيّ بعداءٍ. هل تركتها هناك؟

- بل ألقيتها من النافذة، وسأواريها التراب غدًا.. سأضطر أيضًا للذهاب إلى المدينة لأشتريَ لوحًا جديدًا من الزجاج.

- ليتك وضعت ستارةً على تلك النافذة!

- وما الذي يدعونا لذلك؟ ونحن لا نستخدم الغرفة إطلاقًا.

بعد دقائق، غرقت غرفة النوم في السكون. تركهما (الشيء)، ووجَّه اهتمامه نحو الحظيرة. كان هناك خنازير ودجاج وجواد وأبقار

و... قطة.

وأدرك (الكائن) أن القطة هي أنسب وسيط له الآن، فهي سريعة الحركة، وعلى جانب من الذكاء، كما أنها على صلة وثيقة بالإنسان بحيث لو رآها أيهم في أي مكان لا يرتاب فيها، مما يتيح لها أن تكون جاسوسة ماهرة. في لحظات كان قد انطلق إلى عقلها. انطلقت القطة تجري هنا وهناك. كان (الكائن) يرغب في أن يستخدمها للبحث عن المحل الذي يتم فيه إصلاح أجهزة التليفزيون، حتَّى يعرف أين ينام صاحبه، ولكن واجهته رغبته الملحة في الحصول على الغذاء.

كان دور القطة قد انتهى الآن. فجأةً سمع نباح كلب في الفناء الخلفي. كان كلبًا ضخمًا مخيفًا، وكان مربوطًا بسلسلة غليظة. ما كاد الكلب يرى القطة، حتَّى علا نباحه، وراح يقفز في الهواء بجنون. تحركت القطة نحوه ببطء، ثم قفزت بين أنياب الكلب!

* * *

الفصل الثامن

مرة أخرى، عاد (الكائن) إلى قوقعته أسفل الدرجات الخشبية المؤدية لباب بيت (سيجفريد). بدأ في الحال في توجيه حاسته القوية التي تخترق الجدران إلى حيث يرقد الزوجان في غرفتهما في الطابق الثاني. في لحظات تسلل إلى عقل (سيجفريد) بعد أن واجه تلك المقاومة التي اعتاد أن يواجهها كلما هاجم عقل إنسان.. قبل أن يبدأ (الكائن) في تحريك الرجل كان يبحث في أعماقه عن أمرين.

فقد كان من المهم أن يعرف طباع زوجته (إلزا)، وابتهج عندما علم أن نومها ثقيل، ولا يوقظها إلا حدوث أمر جلل، أو صوت حاد، مثل ذلك الذي أحدثته البومة اللعينة حينما حطمت زجاج النافذة محدثة دويًا مفزعًا، وبالتالي فهي بالتأكيد لن تشعر بما سيدور في مطبخها بالطابق الأرضي لو تمت الأمور في هدوء، أي لو لم يتحطم فنجان أو يسقط أحد الأطباق. وبارتياح عميق اكتشف أن بداخل الثلاجة كمية من الحساء ونصف رطل من الدهن، إذا ما خلطا معًا ووضعا فوق نار هادئة، سيكون هو «السائل الغذائي» الذي يبحث عنه.

وهكذا تسلل (سيجفريد) من جوار زوجته، ومشى على أطراف أصابعه حافي القدمين، حتى فتح باب الغرفة، ومضى يتحسس طريقه في الظلام عبر الردهة إلى أول الدرج، ثم أخذ يهبط بحذر في الظلام، حتى وصل إلى المطبخ، وبحرص شديد صب الحساء في إناء اختاره

بحيث يسع القوقعة إذا غطست فيه، ثم وضع فيه قطعة الدهن، ووضعه على النار، وأخذ يقلبه. وما إن انتهى، حتى خرج من المطبخ، وعاد بعد لحظات حاملًا القوقعة التي غمرها بحرص في الإناء. نظر إلى ساعة الحائط ليقيس الزمن المطلوب، ثم جلس ينتظر في هدوء وهو يتجول بين ذكريات (سيجفريد).. أدرك (الكائن) أن (سيجفريد) رجل يعيش على هامش الحياة، ورأسه خاوية من أي معلومة ذات قيمة. ولذا فهو عديم النفع، ويجب التخلص منه، حتى يجد الوسيط المناسب الذي سيبلغه هدفه المنشود. إنه ليس بالرجل الاجتماعي، وليست له علاقة بأي شخص، إلا بعض المتاجر التي يتعامل معها، حتى إنه لم يصل بيته بخط تليفون مثل الآخرين؛ لأنه لا يحب أن يزعجه أحد، ولم يضع على باب بيته صندوقًا للبريد؛ لأنه لا يخاطب أحدًا، ولم يستخدم في ذهابه وإيابه من المدينة سوى عربته التي يجرها الجواد.

رفع (سيجفريد) رأسه، ونظر إلى الساعة، وتأكد أن القوقعة قد ظلت وقتًا كافيًا. نهض ورفعها من الوعاء. غسلها بالماء وجففها جيدًا، حتى لا تجذب رائحتها بعض الحيوانات أو الحشرات إليها، ثم حملها إلى الخارج. حفر لها مخبأً ملائمًا على عمق ثلاث درجات في الركن البعيد تحت الدرجة، أفضل مما صنعته البومة، ثم وضعها وأهال عليها التراب.

بعدها عاد إلى المطبخ؛ ليزيل أي أثر يكون قد تركه، وما إن انتهى، حتى كان كل شيء نظيفًا جافًا كما كان من قبل.

مسكينة (إلزا) سيكون موته صدمة لها بلا شك. قرر (الكائن) أن يكتب خطاب انتحار قبل أن يتخلص من (سيجفريد)، فهو لا يريد المزيد من المشاكل، كالتي حدثت مع موت (تومي)، وهكذا جعله يأتي بورقة وقلم، ثم يجلس ليكتب الخطاب: «... لقد تحمل الكثير من الآلام بسبب مرضه الطويل، حتى عجز عن احتمال المزيد، ولذلك فهو يقتل نفسه...» ثم وقع إمضاءه.

نهض (سيجفريد)، وأخرج بندقيته، ووضع فيها مقذوفًا، ثم عاد إلى مقعده، ووضع فوهة البندقية في فمه، وجذب الزناد.

وتناثرت الدماء، وانتشر مخ الرجل في أرجاء المكان.

ومن مكانه أسفل الدرج، كان (الكائن) يسمع بحاسته الخاصة صراخ (إلزا)، وهي تُنادي زوجها، ثم وهي تضيء نور حجرة النوم.. ثم وهي تملأ البيت صراخًا وعويلًا!

* * *

الفصل التاسع

فتح الدكتور (ستاونتون) عينيه، وتقلب في فراشه. كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا، وكان الدكتور قد سهر طويلًا في تلك الليلة؛ إذ كان يفكر في تلك النتيجة التي كان يتوقعها من أن الكلب سليم تمامًا من أي داء. تثاءب الدكتور، ثم غادر فِراشه، وهو ينوي الذهاب إلى المدينة ومقابلة الشريف.

وصل (ستاونتون) إلى المدينة في الثانية عشرة، واتصل بالشريف من إحدى الصيدليات، واتفقا على اللقاء بعد نصف ساعة. بعد أن وضع السماعة، التفت له صاحب الصيدلية وسأله:

- ألست تقطن بطريق باسكومب؟

- نعم. ولكن لماذا؟

- لقد انتحر أحد جيرانك الليلة الماضية.. أم لعلك سمعت هذا الخبر قبلنا؟

شعر (ستاونتون) بقشعريرة في عموده الفقري، وقال:

- كلَّا ما سمعت شيئًا.. مَن يا تُرى؟

- رجل عجوز يُدعى (سيجفريد جروس). لم تخسر المدينة بموته كثيرًا.

تركه (ستاونتون)، وذهب لمقابلة الشريف الذي كان مرهقًا، إذ

شغلته حادثة انتحار (سيجفريد) طوال الليل، وأخبره (ستاونتون) بنتيجة تحليل الكلب، إلا أن الشريف هتف به:

- يا للشيطان! يا سيدي إن الكلاب تموت في كل لحظة وأخرى.. فلماذا لا تخيل أنه كان يتعقب أرنبًا بريًّا انطلق خلفه حتى فاجأته العربة؟ هل تريد خلق قضية أمام المحكمة العليا موضوعها المرحوم الكلب «باك»؟

صمت (ستاونتون). إلّا أن الشريف عاد إلى حادثة الانتحار، فقال له:

- كان منظر الجثة فظيعًا يا دكتور. لقد خرجت الرصاصة من فوهة ماسورة البندقية إلى سقف الحلق، ثم نفذت من قمة الرأس، فتناثرت عظام الجمجمة وما بداخلها في كل أرجاء المكان، حتى لقد مكث عامل المشرحة أكثر من ساعة وهو ينظف المطبخ من الأشلاء.

وفجأة اعتدل الشريف، وقال ضاحكًا:

- أمر آخر أثار تعجبي يا دكتور، ولكنه لا يمتّ لجناية الانتحار بصلة .. لقد صدمت بومة نافذة المنتحر وحطمت زجاجها، وكسرت جناحها مما اضطر الرجل إلى أن يقتلها ببندقيته، حتى يخلصها من عذابها.

- وهل قتلها بنفس البندقية التي انتحر بها؟

- لا، بل ببندقية أخرى تختلف في نوعها وعيارها، وكانت في غرفة

نومه، أما البندقية التي انتحر بها فقد كان يحتفظ بها في خزانة المطبخ، وكان قد أهمل استخدامها منذ وقت طويل.

- ومتى كان ذلك؟

- قبل حادث الانتحار بحوالي ساعتين.. وأعتقد أنه لم يستطع النوم بعدها، ولا بد أن النوبة قد فاجأته، فهبط إلى المطبخ وقرر أن يستريح من آلامه كما فعل مع البومة.

- وهل حدث أي احتكاك بين الرجل والبومة؟

- لا، حتى إن جاره هو مَن دفنها صباح اليوم مع القطة.

- قطة (سيجفريد) الأليفة التي ذهبت تتجول ليلًا حتى المزرعة المجاورة، ففتك بها كلب متوحش.

وأطلق (ستاونتون) صفيرًا خافتًا، وهو يهز رأسه من غرابة هذه الأمور التي يسمعها، ثم عاد يسأل الشريف:

- هل سمعتَ من قبل يا سيدي عن بومة لا تُبصر جيدًا في الليل؟

تثاءب الشريف، وقال وهو ينهض باسمًا:

- ما العجب في ذلك والطيور كثيرًا ما تصطدم بالنوافذ وزجاج سيارتك ليلًا؟ أخشى أنك تُعطي الأمور أكثر من حجمها يا دكتور!

* * *

الفصل العاشر

أمور كثيرة عرفها (الكائن) وهو في مكمنه أثارت قلقه ودهشته، فمنذ حادث انتحار (سيجفريد جروس) وهو يقبع ساكنًا تحت تلك الدرجات الخشبية يرصد بحاسته الغريبة ما يدور في ذلك البيت، وكان أكثر ما فاجأه هو عدم توخيه الدقة والحذر فيما قام به وسطائه من الحيوانات والإنسان من أفعال مريبة، خاصة تلك المتعلقة بموتهم.

وقد بدأت المشاكل، عندما هُرعت (إلزا) إثر سماعها صوت المقذوف في جزع شديد، لم يتوقعه (الكائن) بعد أن علم من خلال عقل (جروس) أن كليهما لا يربطه بالآخر أي حب حقيقي.

وما كادت ترى الجثة حتَّى أُصيبت بالرعب، وظلت واقفةً بلا حراك للحظات، ثم ارتدت حذاءها، وألقت معطفها فوق ثياب النوم، وانطلقت تجري إلى أقرب جيرانها.

ولكن (إلزا) وبعد اطلاعها على خطاب الانتحار، لم تصدق أن زوجها ينتحر هكذا فجأة. إنه حقًّا كان مريضًا بالقلب، ولكن ليس إلى درجة أن يُنهي حياته.

لم يصل الشريف إلَّا قرب الثالثة صباحًا، وكانت معه سيارة الإسعاف والطبيب الشرعي وقاضي التحقيقات. وفهم (الكائن) من حديثهم قيمة حياة الإنسان مهما كانت طباعه بين الناس، كما أدرك الأهمية التي ينظرون بها إلى حوادث الانتحار، حتى لو كانت هناك

رسالة لا تدع سبيلًا للشك.

وفي الظهيرة، اكتشفت السيدة (إلزا) اختفاء الحساء وقطعة الدهن من الثلاجة. راحت تفتش الثلاجة، وقد استبدت بها الدهشة، ثم راحت تفتش المطبخ هنا وهناك بلا جدوى. بعد فترة، عاد الشريف ومعه رجل غريب قدمه لها بأنه دكتور (ستاونتون) الأستاذ في الطبيعيات، والذي يمضي إجازته في الريف، وأخبرها أنه مهتم بحادثة الانتحار، ويود لو وجَّه إليها بعض الأسئلة. أبدت السيدة موافقتها.

وتأمل (الكائن) غريمه، فإذا هو في الخمسين من عمره، نحيل الجسم، نشيط الحركة، له شعر أسود تتخلله بعض الشعرات البيضاء، وكانت عيناه الزرقاوان تلمعان بذكاء.

تابع (الكائن) باهتمام الأسئلة التي وجَّهها الدكتور للسيدة، ولمس فيها ذكاءه الشديد. لقد قال الشريف إنه أستاذ في الطبيعيات، ولكن أي فرع فيها؟ الآن أدرك (الكائن) أنه قد عثر على الوسيط المثالي، فإذا لم يكن هو نفسه متخصصًا في الإشعاعات الكونية، فلا بد أن له أصدقاء من العلماء متخصصون فيها، وهو بالتأكيد أفضل من ذلك الرجل صاحب محل إصلاح أجهزة التليفزيون!

ولكن مع الأسف، تأخر (الكائن) في قراره، فقد كان (ستاونتون) والشريف على وشك الانصراف.

فكر (الكائن) أن يتعقبهما، ليعرف أين يقيم، إلَّا أن الدكتور كان قد غادر البيت فعلًا، وتوجَّه إلى السيارة. لذا فقد فكر (الكائن) في

أقرب وسيط له، فوجد جوادًا في الحظيرة، ولكنه ما لبث أن عدل عن هذه الفكرة، فلا بد أن مرأى ذلك الجواد وهو ينطلق بأقصى سرعته خلف السيارة، سيبدو شاذًا خارقًا لما ألفه الناس في حياتهم العادية عن الجواد. وفكر في استخدام طائر، إلَّا أنه لم يجد صقرًا، أو حتى بومة، بل وجد فقط عصفورًا، سرعان ما احتله، وانطلق به بسرعة، إلَّا أنه أصيب بمرارة وخيبة أمل، فقد تحركت السيارتان في اتجاهين مختلفين.

ولم تقوَ عينا العصفور على تمييز أين هو (ستاونتون)، وحتى لو عرف، فإن العصفور ضعيف، ولن يتمكن من اللحاق بالسيارة. وهكذا طار العصفور إلى الغابة - كي لا يلفت موته فضول أحد-، واصطدم بشجرة، إلا أنه لم يسقط ميتًا، بل سقط عاجزًا عن الحركة. وما كان (للكائن) من حيلة سوى الصبر على مضض، حتى يموت العصفور جوعًا أو ظمأً، ولكن ما كاد يحل الظلام، حتى انقضت على العصفور بومة، فقتلته، وعاد (الكائن) مرة أخرى إلى قوقعته في مزرعة (سيجفريد). وبعد فترة أوت الأرملة إلى فراشها، وساد المزرعة الهدوء والظلام.

كان (الكائن) يفكر فيمن سيكون وسيطه القادم.

كان يفكر أن السيدة (إلزا) هي أنسب الوسطاء له حاليًا، وكانت الآن مستغرقة في نومها، ولكن (الكائن) آثر أن ينتظر، فهي على أي حال قريبة منه ويستطيع السيطرة عليها في أي وقت.

ولكن كيف سيكون انتحار (إلزا) بعد انتحار زوجها؟ وما السبب الذي قد يدفعها للانتحار وقد ورثت ثروة لا بأس بها؟ بالتأكيد سيثير موتها عاصفةً لا تهدأ حول المزرعة.

وبدأ (الكائن) يفكر في الشريف.. إنه أصلح بالتأكيد من (إلزا)، فطبيعة عمله تدعوه لكثرة التنقل، وبهذا لن يلفت إليه الأنظار، كما أن التخلص منه سهل، فهو يقود سيارته بنفسه، فماذا لو أنه نام، فأفلتت منه عجلة القيادة، وهوى من فوق التل؟ هكذا ينتهي الأمر بلا ضجة.

ولكن الاستحواذ على الشريف ليس سهلًا، فهو يقيم في المدينة نفسها، وليس هنا في الريف.

لم يعد أمامه إذنْ سوى القطط.. تلك الحيوانات التي تدخل كل بيت!

* * *

الفصل الحادي عشر

تطلع (ويلي شاندلر) من وراء واجهة محله الزجاجية حيث يمارس إصلاح أجهزة الراديو والتليفزيون، يتأمل الطقس الرديء، وهو يحمد الله أنه أحضر غداءه معه اليوم، حتى لا يضطر إلى التعرض للمطر لو أنه ذهب إلى المطعم كعادته كل يوم. كان (ويلي) في ضيق مادي شديد حيث كان يُعاني من الكساد.. حقيقة كان هناك راديو في كل بيت، ولكن نادرًا ما كان يتعطل كذلك. كانت هناك بعض أجهزة التليفزيون، ولكن كانت المدينة بعيدة عن مناطق الإرسال، فالصورة كانت تصل دائمًا مهزوزة، مما جعل الناس ينصرفون عن تلك الأجهزة. كان (ويلي) شابًا في الثانية والثلاثين، طويل القامة، نحيلًا، يضع عوينات ذات إطار سميك.

ترك (ويلي) الواجهة الزجاجية، وعاد إلى المنضدة التي كان يعمل عليها، حيث أفسح بين الصمامات والأدوات مكانًا ليعد عليه غداءه.

كان قد انتهى من شطيرة الزبد ومعظم شطيرة المربى، وهو يرشف قهوته من حين للآخر، حين سمع خربشة، فتلفت حوله يبحث عن مصدرها.

رأى قطة تقف خلف النافذة، وهي تضرب بمخلب يدها الزجاج. كانت قطة سوداء بللها المطر. لم تكن من قطط الجيران، ولم يشاهدها من قبل في ذلك الحي الذي يعمل فيه منذ ثلاث سنوات. شعر بالعطف نحوها، وسألها في رقة:

- حسنًا.. ماذا تريدين يا قطة؟!

ولاحظ أنها ترتعش من البرد والبلل، وتموء في استعطاف، ويبدو عليها الجوع الشديد.

- آه.. تودين الدخول بعيدًا عن المطر!

وفتح لها النافذة، فوثبت على أرض الغرفة. أغلق النافذة خلفها. وقال بعطفٍ:

- أأنتِ جائعةٌ؟ أخشى أن تكوني قد أخطأتِ في العنوان يا عزيزتي. فهنا محل لإصلاح الراديو والتليفزيون. وأنا قد انتهيتُ من طعامي للتو، ولم يتبقَّ منه إلَّا لقيماتٌ مِن الخبز والمربى، ولا أظنه يُناسب القطط.

جلس خلف المنضدة، وقد أدرك أنها لا بد جائعة، فقطع الجزء المتبقي من الشطيرة إلى فتات صغيرة، قدَّمها للقطة التي تشممتها للحظات، ثم بدأت في أكلها. نهض (ويلي) وجاء بغطاء علبة من الصفيح، ملأه بالماء، ووضعه أمامها، وهو يقول:

- معذرة.. ليس عندي لبن.

أخذت القطة تلعق الماء، بينما أحضر (ويلي) منشفة متسخة قليلًا، واقترب منها وأخذ في تجفيف جسدها وهو يخاطبها:

- كل ما أستطيع تقديمه لكِ يا عزيزتي هو تجفيف جسدك، وإن كانت المنشفة متسخةً قليلًا، ولكنها خير من لا شيء.

وفجأةً دق جرس التليفون. رد (ويلي)، كان (كاب هايدن) صاحب مخزن، يُخبر (ويلي) عن وصول طرد يخصه. كان (ويلي) متلهفًا للحصول على هذا الطرد الذي يحتوي على صمام نادر يحتاجه لإصلاح تليفزيون. قال (ويلي) لـ(كاب) بحماس:

- سأحضر حالًا.

- صبرًا يا (ويلي)! ينبغي أن تدفع رسوم التخليص قبل استلام الطرد، وهي ستة دولارات. وكما تعلم فإنه لا يمكن إضافة هذه الدولارات على حسابك الجاري؛ لأنها مطالبات حكومية لحساب مصلحة البريد، ولا بد من سدادها نقدًا وفورًا.

- يا للشيطان! أنت لا تعلم سبب لهفتي على وصول هذا الطرد يا (كاب). إنَّ به صمامًا نادرًا في السوق أحتاج إليه لإصلاح تليفزيون (دولف مارش)، وسوف أتقاضى منه عشرين دولارًا، وهو رجل غني كما تعلم. أما أنا فلا أملك سوى ثلاثة دولارات، فإذا ساعدتني وسددتَ لي الفرق، سأكون شاكرًا لك، وسوف أسدده لك بمجرد استلامي المال من (دولف).

- حسنًا يا (ويلي). هذه المرة فقط، بشرط أن تسدد لي نقدًا حالما تُسوِّي حسابك مع (دولف).

أغلق (ويلي) التليفون، واختطف معطفه وقبعته، وانطلق إلى الباب وهو يخاطب القطة:

- سأترك لكِ إدارة محلي حتى أعود يا سيدتي.. ولكن أرجو أن تفهمي يا قطتي أنكِ هنا على الرحب والسعة مؤقتًا حتى يتوقف المطر فقط. أقولها لكِ بصراحة إنني لا أستطيع الإنفاق على قطة هنا أو في بيتي.

اندفع (ويلي) خارجًا، حيث استلم الطرد، وعاد سريعًا إلى متجره، حيث خلع معطفه، وشرع يفك الطرد، وعندها لاحظ آثار القطة مطبوعة فوق طبقة الغبار الخفيفة التي كانت تُغطي المنضدة.

لاحظ (ويلي) باستغراب أنها قد تجولت كثيرًا بين المصابيح والصمامات والأجهزة المفككة، وكانت هناك كراسة خاصة بطرق توصيل الدوائر الكهربائية للأجهزة اللاسلكية مفتوحة على صفحات غير تلك التي تركها عليها من قبل، مما جعله يسأل القطة بسخرية:

- هل كنتِ تقرأين في كراستي يا قطة؟!

وانهمك في فض الطرد، وأفرغ ما بداخله من صمامات وأدوات دقيقة، وبدأ في العمل، حينما لاحظ أنها ترمقه في فضول، فأشار إليها:

- تعالي وتفرجي إن أردتِ!

وكأنها كانت تنتظر عبارته، وإذا بها تقفز بجواره. أخذ (ويلي) يعمل في إصلاح التليفزيون، وهو يتحدث معها:

- لا أجد مانعًا في تعليمكِ هندسة التليفزيون، طالما أن لكِ تلك

الرغبة.. رغم قلة ما أعرفه عن الإلكترونات.. لا تتعجبي يا قطة، فقد قضيتُ أربعة أشهر في شيكاغو أدرسها، ولكنها كانت فقط عن الإصلاح والتركيب، أما عن فكرة الإلكترونات العلمية نفسها، فأنا في ذلك لا أختلف عنكِ!

كان يشعر بالوحدة، لذا فقد اندفع يحكي لها عن حياته وعن مشاكله وعن متاعبه المالية.

ولقد أنصتت له القطة باهتمام.

وأخيرًا قفزت هابطة إلى الأرض، ثم جرت إلى الباب، وبدأت تخربش فيه وتموء، فقام وفتحه لها، وكانت الأمطار قد توقفت، فاندفعت القطة خارجة وهو يهتف بها:

- عودي وقتما تشائين يا قطة!

عاد (ويلي) إلى عمله، ولم يخطر بباله على الإطلاق أن القطة كانت تدرسه بعمق. ولسببٍ ما، تأجلت نهايته التي كانت قريبةً منه دون أن يدري!

* * *

الفصل الثاني عشر

قضى الدكتور (ستاونتون) نهاره في كتابة مذكراته وملاحظاته عن حادثي الانتحار وما صاحبهما من ظواهر ومفارقات غامضة. كان يود لو استطاع تسجيل كل شيء، ولكن ذلك كان أمرًا عسيرًا، فلم يكن يملك آلة كاتبة، وكانت الأفكار تتزاحم على رأسه دون ترتيب. فكر أنه سيحتاج إلى البحث عن كاتبة اختزال تنقل الأحداث عن لسانه، ثم ترتب الحوادث ترتيبًا زمنيًا منطقيًا، لذا فقد استعان برئيس تحرير المجلة الأسبوعية التي تصدر من (بارتسفيل) الذي رشح له الآنسة (أماندا تالي).

مضى الدكتور إلى منزل الآنسة (تالي) التي كانت في الخمسين، وأدرك الدكتور من مقابلتها أنها سيدة ذات ذكاء حاد وشخصية قوية. أدخلته إلى منزلها الهادئ وهي تقول له:

- لو تفضلت بالجلوس يا دكتور، فلن أغيب عنك لحظة حتى أحضر كراستي.

- في الحقيقة يا آنسة، إن البيت هنا جميل، وفي استطاعتنا أن نبدأ هنا. إلّا أنني أعتقد أنني سأكون مشتت الفكر والبال هنا، ولذلك أُفضِّل أن يكون ذلك في بيتي، إنه لا يبعد سوى ثمانية أميال من هنا.. هو البيت الأخير في طريق (باسكومب)، وسيكون هناك الإملاء فقط، أما الكتابة فأنتِ حرة فيها.

- حسناً يا دكتور، إنني لا أمانع في الذهاب معك إلى حيث تريد.

وأرادت أن تعتذر عن الركوب معه في سيارته، حتى لا يضطر للعودة لتوصيلها إلى بيتها مرةً أخرى، ولكنه نجح في إقناعها أن تترك سيارتها وتمضي معه، خاصةً وأنه ينوي العودة إلى المدينة في المساء.

* * *

مضت القطة السوداء بعد زيارتها لـ(ويلي) تجوب المدينة مرهفة آذانها لأحاديث الناس، وهي تتلفت باحثة عن (ستاونتون)، لكنها على الرغم من ذلك لم تتمكن من العثور عليه. عندها أدرك (الكائن) لماذا لم يعثر عليه، أو يجد أحداً في المدينة يعرفه. لا بد أنه غريب عن المدينة ويسكن خارجها.

وهكذا انطلقت القطة خارجة من المدينة، إلا أنها بعد أن قطعت نصف الطريق سقطت في إعياء شديد . دفعها (الكائن) إلى أن تتحامل على نفسها، حتى تدخل الغابة وتسقط ميتةً هناك.

وفي الصباح التالي، كان (الكائن) قد تسلل إلى قطة بيضاء صغيرة. تحركت القطة إلى البيوت الريفية المتبقية، وهي تحرص على أن تكون قريبةً من الطريق، إذ ربما تلمح سيارة (ستاونتون). وبينما القطة في الطريق، إذا بها تسمع صوت سيارة قادمة لمحت بداخلها (ستاونتون) ...

* * *

وصلت القطة أخيرًا إلى البيت المنشود. ها هي الآثار التي خلفتها سيارته في الفناء. طافت القطة حول البيت، كانت جميع نوافذ الطابق العلوي، ما عدا نافذة واحدة تطل على الفناء الخلفي مغلقة. تساءل (الكائن) تُرى هل يقيم الدكتور بمفرده؟ كان البيت ساكنًا صامتًا، فجلست القطة تستريح. لا بد أن (ستاونتون) بالمدينة.

بعد فترةٍ، فتحت القطة عينيها على صوت سيارة مقبلة، ورأتها تقف أمام باب البيت، ويهبط منها (ستاونتون)، بينما خرجت من الباب الآخر سيدة، ما إن لمحها (الكائن)، حتى تذكرها على الفور مما عرفه من ذاكرة (تومي)، إنها الآنسة (تالي)، أو كما كان (تومي) يُطلق عليها «الطويلة العجفاء». كانت أستاذته في اللغة الإنجليزية. لاحظ (الكائن) أنها تحمل في يدها كراسة للاختزال. إذن لو كان الدكتور ينوي إملاء خطابات أو مذكرات عليها، فستكون فرصة (الكائن) لمعرفة الكثير عن هذا الرجل الغامض.. فقط لو استطاع الاستماع إلى ما سيقوله.

ما إن دخلا إلى البيت، حتى انطلقت القطة تجري حول البيت، تبحث عن مكان تدخل منه. تسلقت القطة ماسورة المياه الملاصقة للجدار، ومنها وثبت إلى نافذة غرفة النوم الخالية. قفزت إلى الغرفة، وتسللت منها إلى الردهة، ثم وقفت في مكان بين المطبخ ودورة المياه، عندها سمعت صوت الثلاجة يُفتح ويُغلق. أدرك (الكائن) الآن أنه في المكان المناسب!

الفصل الثالث عشر

جلس (ستاونتون) وهو يقول للآنسة (تالي):

- أرجو أن تضعي هذا القلم مؤقتًا، فلم أُرتب في ذهني بعد ما سأمليه عليكِ. سوف أقص عليكِ موجز الموضوع، إلَّا إذا كنتِ تفضلين الكتابة مباشرة وبسرعة كما يفعل تلاميذي.

- تلاميذك! هل تعمل بالتدريس يا دكتور؟!

- أنا أستاذ للطبيعة في المعهد العالي، ومتخصص في الإلكترونيات.

- لقد تذكرتك! لقد سمعتهم يذكرون اسمك في مجال الصواريخ.

- هل أنتِ مهتمة بعلوم الطبيعة يا آنسة؟

- طبعًا. مَن ذا الذي لا يهتم بها ونحن في عصرها الذهبي يا دكتور؟! إنني أُتابع بشغف ما يُنشر عن محاولات غزو القمر والكواكب الأخرى، وحتَّى القصص التي تُصوِّر خيال العلماء في السيطرة على الفضاء أقرؤها في أوقات فراغي!

- أنتِ يا آنسة (تالي)؟!

ارتبكت الآنسة بخجل، وسألته:

- هل ما سأكتبه مادة علمية، أم بعض الرسائل؟

- لا هذا ولا ذاك.. الحقيقة أنني لاحظت أمورًا بدت لي غريبة تجري هنا، مما دفعني إلى إجراء بعض التحريات والأبحاث.

- أتقصد حوادث الانتحار؟

- بالضبط.. ولكن أرجوكِ لا تخبريني أنها لم تُثِرْ فضولكِ أنتِ أيضًا!

- على العكس.. هل أفهم أن لديك معلوماتٍ تتعلق بـ... قضية (تومي)؟

- هل لفت نظركِ شيءٌ ما فيها يا آنسة؟

- كان (تومي) وخطيبته من تلامذتي العام الماضي، وكان الفتى طيب السلوك، وإن كان لا يمتاز بالذكاء الكافي، إلَّا أنه كان ذا جسمٍ رياضيٍّ وعقلٍ سليمٍ.

- ألا يُحتمل أن الفتى قد أُصيب بكبتٍ دفعه للانتحار؟!

- معذرةً، ولكن هذا التعليل غير مقبول لي؛ لقد كان الفتى سيتزوج بعد يومين فقط.

- وماذا تعرفين عن خطيبته؟

- فتاة على خلق، كانت تحبه بجنونٍ.

- هل كانت خيالية التفكير؟

- لا يا دكتور. بل واقعية للغاية. وإن كُنتَ تقصد قصة الفأر، فثق بأنها قالت ما شاهدته بالحرف الواحد.

- والحادثة الأخرى؟

- إنني في الحقيقة لا أعرِف الكثير عن ظروف انتحار السيد (سيجفريد)، وإن كانت تعدُّ حادثة الانتحار الثانية في هذه البلدة الصغيرة وفي وقت قصير.

- ماذا ستقولين يا آنسة (تالي) عندما تعرفين أن ستَّ حوادث انتحار قد وقعت بالفعل وليس اثنتين؟ رجلان وأربعة حيوانات!

شرع الدكتور في قص حوادث الحيوانات عليها، بينما امتقع لونها، واتسعت عيناها من الدهشة وهي تتابعه. بعد أن انتهى، شرع الدكتور يُملي عليها أفكاره وخواطره حول هذه الحوادث، وهي تكتب باهتمامٍ، وفضولها يتزايد. بعد فترةٍ، توقف الدكتور لينالاً قسطًا من الراحة. سألته الآنسة:

- كم نسخة تحتاجها يا دكتور؟

- ثلاثة.. سأحتفظ بواحدة، وأرسل الثانية إلى صديق لي من كبار العلماء ويرأس أكبر هيئة للأبحاث الطبية؛ لأسأله إن كان هناك نوع من الجراثيم يشترك في حملها الإنسان والحيوان يُمكن أن تتسبب في هذا الجنون المفاجئ. أما الثالثة، فسأرسل بها إلى صديق حميم أثق في رجاحة عقله، وسأطلب رأيه فيما حدث.

- هل تسمح لي بالاحتفاظ بصورة من هذا التقرير يا دكتور؟

- بكل أريحيةٍ يا آنسة.

كان الدكتور يشعر بالراحة تجاهها، لذا فقد قال لها:

- أريدكِ أن تُرهفي أذنيكِ وتفتحي عينيكِ على كل ما يجري في المدينة. وإذا حدث أي أمر غير طبيعي، سواء وفاة إنسان أو حيوان، فسيكون عليكِ الاتصال بي فورًا، لأني أتوقع المزيد من حوادث الانتحار تلك.

- سأفعل يا دكتور. ولكن كيف يمكني الاتصال بك وليس بمنزلك تليفون؟!

- يمكنكِ ترك رسالة لي بمكتب البريد، إذ إنني أتردد عليه بانتظامٍ.

وضعت الآنسة (تالي) كراستها وقلمها في حقيبة يدها، وخرجا من الباب الأمامي متجهين نحو سيارته. أدار (ستاوتتون) محرك السيارة ليوصلها إلى المدينة، عندما سمعها تقول:

- لقد أوشكت أن أطلب منك أن تقدمني إلى قطتك، ولكنني نسيت.

كان الدكتور قد بدأ التحرك بالسيارة، عندما ضغط فراملها بقوةٍ وهو يهتف بدهشةٍ:

- قطتي! ليس عندي قطة يا آنسة!

بعدم فهمٍ قالت له:

- ولكنني شاهدت قطةً بالتأكيد، و...

أطفأ الدكتور موتور السيارة، وهبط من السيارة وهو يقول لها:

- لا بد أنها قطةٌ ضالةٌ، تسللت إلى البيت. فإذا لم يكن لديكِ مانعٌ من الانتظار لحظة حتى أُخرجها.

دخل الدكتور البيت، ومضى يفتش عن القطة في الطابق الأرضي، فلم يجدها. ولاحظ أن جميع النوافذ كانت مغلقةً، مما يجعل دخولها أو خروجها مستحيلًا، ثم صعد إلى الطابق الثاني، فلم يجدها أيضًا، ووجد نافذة غرفة النوم مفتوحةً، فأطل منها وتعجب؛ ما الذي يدفع قطة إلى عناء الصعود إلى هذا الارتفاع. أغلق النافذة، وغادر البيت. أدار محرك سيارته، وانطلق بها، وهو يسأل الآنسة (تالي):

- لم أجدْ أي قططٍ.. هل أنتِ واثقةٌ مما تقولين؟!

- لقد رأيتُ قطةً فعلًا. ولكن ما دمت قد فتشت ولم تجدها، فإنني أشك فيما رأيت. ربما كان الأمر لا يعدو خداع البصر. كان ذلك عندما كنت مشغولًا بالإملاء، أو لعله في فترات تفكيرك بين الفقرات، أذكر أنني رفعت رأسي، فرأيتُ أو خُيِّل إليَّ أنني أرى رأس قطة ظاهرًا في ركنِ الطرقة الموصلة بين المطبخ والدرجِ. لم أشأ أن أدعوها أو أداعبها؛ حتَّى لا أقطع عليك تفكيرك، ثم بدأتَ تُملي مرةً أخرى، وحين رفعت رأسي، كانت قد اختفت.

ساد الصمت بينهما لفترةٍ قبل أن تسأله:

- أتعتقد حقًّا بوجود هذا الميكروب الذي يسبب تلك الحالة التي تدفع صاحبها للانتحار؟!

- هل لديكِ تفسيرٌ آخر يُبرِّر لنا ما يحدث هنا؟!

- كنتُ أفكر في تلك الشياطين التي تستحوذ على أرواح البشر. ألم تسمع بها يا دكتور؟!

* * *

الفصل الرابع عشر

ضحك الدكتور وهو يقول:

- شيطان يستحوذ على البشر! يبدو لي الأمر غريبًا يا آنسة.. إننا في القرن العشرين، فلا تحاولي إقناعي بأنه توجد تلك الشياطين التي تلبس أجساد البشر، فأنا رجل أؤمن بالحقائق المجردة وما يؤكده لنا العقل والعلم.

- إننا يا دكتور -وعلى الرغم من ذلك التقدم الرائع- إلا أننا لا نزال نجهل الكثير مما يدور حولنا، ولا نعرف له تفسيرًا. فنحن مثلًا لا نعرف شيئًا عما يدور فوق سطح ملايين الكواكب التي تسبح في الكون، وما زلنا لا نعرف إن كانت تلك الكواكب جرداء خالية من الكائنات، أم أن بها نوعًا من المخلوقات أصابوا من العلم والتقدم أكثر منا. لماذا لا تتصور أن واحدًا من سكّان تلك الكواكب بيننا في هذه اللحظة.. يرانا ونحن لا نشعر به؟!

فكّر الدكتور قليلًا بينما تابعت هي بحماس:

- ما وجه العجب في ذلك؟ ألسنا نجتهد في محاولات في غزو الكواكب الأُخرى؟ ألا ترى الشرق والغرب يتسابقان في الهبوط على سطح القمر لاكتشاف أسراره؟ هل يمكنك أن تجزم أننا وحدنا الذين نهتم بذلك وليس سكّان الكواكب البعيدة؟

قال الدكتور وهو يفكر في كلامها:

- إذنْ فأنتِ تعتقدين أنَّ هناك غزوًا من سكَّان أحد الكواكب؟

- ليس إلى هذا الحد.. إن واحدًا فقط هو الذي هبط إلى أرضنا.

- واحد فقط ؟! وما دليلك يا آنسة؟

- ألم يلفت نظرك يا دكتور أن الحوادث فردية؟ ولم تقعْ حادثتان معًا وفي وقت واحد. وهذا يؤكد أن شيطانًا واحدًا هو الذي يتقمص ضحاياه، ويستحيل عليه الانتقال إلى ضحية أخرى إلَّا إذا دفعها للموت.. كما أننا لم نسمع عن وقوع حوادث مماثلة في أي منطقة أخرى من الولاياتَ المتحدة غير منطقة (بارتسفيل). مما يدل على أن الغزو ينحصر في نطاق محدود.

شعر الدكتور ببرودة تسري في جسده، فقال:

- إن لكِ خيالًا واسعًا يا آنسة.

- قد أكون. ولكنني أُحذِّرك بأن تلك القطة التي لمحتها في بيتك قد تكون متقمصةً تلبسها تلك الروح الشريرة، ولعلها كانت تتجسس علينا.

ضحك الدكتور، ولكنه ما لبث أن عبس، واستغرق في التفكير وهو في طريق عودته وحيدًا.

دخل الدكتور منزله، وأسرع يغلق الباب مرهفًا أذنيه، إلَّا أنه لم يسمع أي شيء. ماذا يفعل الآن؟ هل يُفتش البيت؟ إن البحث عن قطة صغيرة سيكون أمرًا شاقًا بالتأكيد، و قد لا يكون هناك قطة فعلًا.

وفجأةً، خطرت بباله فكرة يستطيع بها أن يعرف إن كان في البيت قطة حقًا. نهض الدكتور وأحضر كمية من الدقيق وراح ينثرها برفقٍ أسفل الدرج وفي منتصف الردهة بحيث صنع طبقة رقيقة لا تكاد تظهر، وحتى لا يضطر إلى المرور فوقها خرج من الباب الخلفي واستقل سيارته منطلقًا إلى المدينة.

ذهب إلى المطعم محاولًا العثور على أخبار جديدة، ولكن لم تقع حوادث انتحار جديدة بعد.

وعند منتصف الليل عاد الدكتور إلى بيته. دخل من الباب الخلفي وأضاء المصباح الكهربائي، ونظر إلى الأرض حيث نثر الدقيق، وعندها فُوجئ بآثار القطة واضحة!

رفع الدكتور رأسه وصاح:

حسناً أيتها القطة اظهري الآن. إنني أدعوكِ لتأكلي وتشربي، ولكني لن أقدم لكِ شيئًا، حتَّى تأتي إليَّ طائعةً، فلن أتعب نفسي في البحث والتنقيب.

جلس الدكتور يأكل شطيرةً، وقد استغرق في التفكير، ولكنه وبلا سبب محدد كان يشعر بالخوف، كان هنا إحساس غريب يحول بينه وبين إطفاء النور والصعود إلى غرفة نومه في الظلام. وعلى الرغم منه وجد نفسه يطفئ النور ويستخدم المصباح الكهربي للصعود إلى الطابق العلوي.

كان يشعر بالسخط على نفسه.. ما الذي يخيفه من قطة؟ أي ضرر يمكن أن تسببه له؟

ومع كل هذا، كان خائفًا.

لم يقابله شيء في الردهة، وما إن وصل غرفة نومه، حتى أغلق بابها عليه، وأخذ يفتش أرجاء الحجرة على ضوء المصباح.. حتى فِراشه نظر تحته..

الآن تأكد أنها ليست في الغرفة.. اتجه الدكتور إلى فِراشه وهو يتمنى لو أنه أحضر بندقيته من الطابق الأرضي.

وما لبث النعاس أن غلبه... فأغمض عينيه!

* * *

الفصل الخامس عشر

شعر (الكائن) بخوفٍ شديدٍ حينما سمع (ستاونتون) ينادي على القطة. فهم (الكائن) أن ضحيته التالية قد أدركت حقيقته أو اقترب -على الأقل- من معرفتها، وبالتالي فإن خطرًا شديدًا يتهدده الآن.

في الحقيقة كان (ستاونتون) صيدًا ثمينًا، لو استطاع أن يجعله وسيطه القادم، فالرجل أستاذ في الأشعة الكونية، كما أنه حاد الذكاء وأعزب، أي خالٍ من المسؤوليات والأعباء العائلية. آه لو استطاع أن يمتلك هذا العقل، لن تمضي سوى أيام قليلة ويعود إلى كوكبه محولًا على أشعة من ابتكار ذلك العقل الجبار، ولكن لماذا ارتكب هذا الخطأ؟ لماذا اختفى عندما رفعت الآنسة (تالي) رأسها ورأت القطة؟ لقد أثار فضولها بهذا التصرف الغريب. ماذا لو أنه جعل القطة تتصرف بطبيعتها فتمضي نحوها في هدوء وتتمسح بقدميها بودٍّ.

كان (الكائن) يشعر بالسخط، فقد كان يريد الانطلاق حتى يقتل القطة ويعود إلى قوقعته، ثم يبحث عن وسيط آخر ينقل قوقعته من أسفل درج منزل (سيجفريد) إلى مكان بالقرب من منزل (ستاونتون)، ولكن الدكتور -عليه اللعنة- قد أحكم إغلاق كل الأبواب والنوافذ. والآن بعد أن نثر تلك الغلالة من الدقيق، فقد أصبح متأكدًا الآن أنه موجود هنا! تُرى إلى أي مدى وصلت تكهنات (ستاونتون)؟!

وللمرة الأولى يشعر (الكائن) بالخوف. الآن مشكلته هي الفرار،

ففي الخارج هناك مئات الطرق لقتل القطة، أما هنا فالأمر صعب، وحتى لو أمكنه فلن يفعل حتى لا يثير المزيد من شكوك الدكتور. كان (الكائن) يأمل أن تكون أفكار (ستاوتتون) مجرد شكوك واهية بلا أي دليل. كيف الخلاص من هذه الورطة؟

فكر (الكائن) أن يجعل القطة تخرج من مخبئها في الصباح، وتكشف نفسها للدكتور محاولة أن تكون قطة لطيفة وديعة كأي قطة طبيعية. لم يكن يخشى إقدام (ستاوتتون) على قتل القطة، فليته يفعل، عندها ستحل المشكلة، ولكن الخطر أن يتوصل (ستاوتتون) بذكائه إلى ما يحدث في كل مرة للوسطاء، وما يكمن خلف موتهم، وعندها لن يفكر في قتل القطة، بل سيمسكها ويحبسها في قفص ويضعها تحت الاختبار ويحميها من الموت، وبذلك يظل (الكائن) حبيسًا داخل جسدها... ربما لسنواتٍ! وعندها سيهلك هو جوعًا.

وكان قد عرف من خلال عقل (تومي) أن العلماء قد اكتشفوا شيئًا أسموه (مصل الحقيقة)، يحقنون به المجرمين، فيقدمون على الاعتراف بما اقترفوه من جرائم، وما يكتمونه في نفوسهم من أسرار.

ضاعف ذلك من رعبه، فلو حقن (ستاوتتون) القطة بذلك المصل، فيمكن أن تنطلق أمامه وترشده إلى مكان القوقعة التي هي روحه وكيانه، فإذا أعدمها (ستاوتتون)، هلك (الكائن) في التوِّ.

وهكذا أمضى الليل في تفكير يزن به كل الاحتمالات، حتى خطر بباله أن يثب من أي نافذة حتى لو كسر زجاجها.. غير أنه

بفرض نجاح المحاولة، سيضطر إلى إثارة المزيد من الشكوك في نفس (ستاونتون)؛ لأنه سيضيف ذلك إلى حوادث الانتحار.

وفي الصباح، رآها (ستاونتون)، كانت القطة تقف خلف الباب تموء وتخدشه بأظافرها، وكأنها تقول له: «أطلقْ سراحي». إلَّا أن الدكتور هز رأسه بإصرار وهو يقول لها:

- ليس الآن يا قطة! ينبغي أن أُفكِّر أوَّلًا.

سكب لها قليلًا من اللبن، إلَّا أنها لم تقترب منه في البداية، وبعد لحظات تحركت لتلعق اللبن كي لا تزيد شكوك الدكتور فيها. قال لها (ستاونتون):

- إنكِ قطة ظريفة حقًّا. ما رأيكِ لو نزلتِ في ضيافتي هنا بضعة أيام؟

كان الدكتور جادًّا في كلامه، فقد كان بالفعل في حاجة إلى مَن يؤنس وحدته. ظل الدكتور طوال اليوم يلاعب القطة ويلاطفها ويتحدث إليها حتى جاء ميعاد النوم.

استيقظ الدكتور في العاشرة صباحًا بعد ليلة حافلة بالكوابيس، كان يحارب فيها أشباحًا تخرج له من كل مكان وتخيفه ليؤدي لها عملًا لم يستطع أن يتذكره.. ضحك الدكتور عندما استعاد مخاوفه. أتراه بالغ في تصوره في وجود علاقة بين قطة مسكينة ضالة وحوادث الانتحار؟ أي غرابة في أن تدخل قطة منزله من باب الفضول أو

الشعور بالجوع.. ربما كانت تبحث عن طعام أو مأوى و...

ولكن الغريب هو اختفاؤها بهذه الطريقة حين علمت باكتشاف أمرها.. ومع هذا، فإن أي قطة ربما تتصرف بهذا الشكل إذا كان الناس يعادونها والأطفال يرجمونها بالحجارة أينما ذهبت.. والآن بعد أن وجدها يراها مجرد قطة طبيعية كأي قطة أخرى.

أغمضت القطة عينيها، ولكن (الكائن) لم يغمض له جفن.. كان في حالة تحفز وهو يراقب (ستاونتون) وهو يفتح نوافذ الطابق الأرضي بوصتين فقط بحيث لا يسمح بمرور جسد القطة.

قال لها الدكتور وهو يعد طعام الإفطار:

- سأقول لكِ شيئًا يا قطة.. لماذا لا نجرب الحياة سويًا لفترة قصيرة؟

بعد فترة اقترب الدكتور منها وقال لها:

- أذهب إلى المدينة وأتركِكِ هنا للحراسة.. سوف أشتري لكِ طعامًا للقطط.. لا تقلقي إن تأخرتُ.

و لكن.. حين كان يفتح الباب، وثبت القطة خلفه، إلا أنه أسرع وأمسكها من عنقها -وتلك كانت المرة الأولى التي يلمسها فيها-، وظلت في يده حتى فتح الباب وخرج منه، ثم ألقاها بسرعة إلى الداخل، وأغلق الباب من خلفه.

* * *

الفصل السادس عشر

أراد (ستاوتتون) أن يأتي بنجَّار من المدينة؛ ليضع ستائر خشبية على النوافذ، لمنع هروب القطة، إلَّا أنه وجد النجَّار مشغولًا للغاية، فتوجه لبيت الآنسة (تالي) التي أسرعت تلقاه في الخارج وهي تهتف به:

- تفضل يا دكتور.. أنا مستعدة وسأحضر لك الأوراق.

- أشكركِ يا آنسة، ولكني لن أُملي عليكِ شيئاً الآن، فأنا بحاجة لبضعة أيام، فقد تستجد أمور يقتضي إضافتها.

وسألته عن القطة، فقال:

- لقد سببت لي الملعونة فزعًا شديداً في البداية، ولعل ذلك من تأثير حكاياتكِ عن الشياطين. أما الآن فقد بدأت أميل إليها وأتمنى بقاءها معي.. إنها قطة طبيعية تمامًا يا آنسة (تالي).

- وكذلك كان الكلب «باك»، حتى انطلق مهاجمًا سيارتك! وعلى الرغم مما ذكرته، فلا أُخفي عليك أني قلقة عليك من وجودها معك. قد تكون تلك حماقة مني، ولكني.. لا أستطيع إلَّا أن أشعر بالقلق.

* * *

في المساء، كان الدكتور يجلس في غرفة الاستقبال، وكانت القطة تجلس إلى جواره، وهو يمسح عليها.. قال لها:

- كيف حالكِ يا قطة؟ هل تحبين المكان هنا؟ هل تميلين إليَّ؟ ما

رأيكِ لو حددنا موعدًا تجربين فيه الإقامة معي وبعد ذلك نرى قراركِ الأخير؟ نحن الآن يوم الخميس فهل يناسبكِ يوم الإثنين مثلًا؟ سوف يتقرر عندئذٍ مصيركِ، إما أنا أو الشارع. و... ولكن لماذا اختفيتِ من قبل؟ ولماذا دخلتِ من الطابق العلوي، وتسلقتِ تلك الماسورة، وليس في منزلي ما يجذبكِ إليه؟

ولماذا تغير سلوككِ نحوي فجأةً من التوجس والخوف، إلى ذلك الهدوء والاطمئنان؟

تثاءبت القطة، ثم كورت نفسها وأغمضت عينيها.

نهض الدكتور فجأةً، وراح يتحدث إلى القطة بجديةٍ:

- يا قطة، حذارِ أن تتظاهري بالنوم أمامي، فليس من اللياقة أن تتظاهري بالنوم وعدم المبالاة حين أتكلم معكِ. أما كنتِ تعرفين تلك القطة التي انتحرت منذ أيام؟ لا.. لا تحاولي إقناعي بأنها ماتت ميتةً طبيعيةً وإلا كيف تسمين ما فعلته حين ألقت بنفسها بين أنياب ذلك الكلب الضخم وهو مقيد في سلسلة غليظة، وكانت بالتأكيد تعرف بوجوده هناك من قبل؟ وفي نفس تلك الليلة قتلت بومة نفسها.. فماذا تعرفين عن ذلك؟ ويوم انتحار (تومي هوفمان) اندفع أحد فئران الحقول ليلقى حتفه.. وأخيرًا الكلب. هل تعلمين بأني أنا الذي كنت أقود السيارة التي صدمته؟! أتعرفين أنه ظل مختبئًا بين الأشجار حتى اقتربت منه السيارة، فاندفع نحوها كالصاروخ وألقى بنفسه تحت عجلاتها؟ أؤكد لكِ يا قطة أن (باك) قد انتحر عامدًا متعمدًا، خاصةً

وأنه كان يخاف بقوة من السيارات.. شخصان وأربع حيوانات! وربما كان عدد الحيوانات أكبر، فالغابة واسعة، ولا يمكن حصر من مات بها حتى الآن. ستُّ حوادث انتحار علمناها، وفي منطقة واحدة حدثت في أوقات متقاربة. ستة اختاروا الموت هكذا فجأة بعد أن.. بعد أن استنفدوا الغرض من وجودهم، فلمصلحة مَن؟ بالتأكيد لمصلحة ذلك الشيء أو الشيطان الذي لا يعرف أحد مكانه الآن.

وكانت السماء تظهر من خلال النافذة الكبيرة صافية تنتشر فيها النجوم اللامعة ومئات المذنبات التي كانت تعبر الفضاء، ثم ما تلبث أن تختفي وتهوي في البحار. إن الطبيعة لحافلة بالغموض والأسرار، ومهما حاول العقل البشري حل ألغازها، فلسوف يظل القدر الأكبر منها محاطًا بالأسرار. تُرى ماذا يدور فوق سطح تلك الشموس والكواكب؟ وما هذا الذي يحدث على أرضنا؟ أهي موجة جنون شاملة تدفع الإنسان والحيوان للانتحار؟

وعاد الدكتور إلى القطة:

- أخبريني يا قطة! لماذا أقدموا على قتل أنفسهم بلا مقدمات أو أسباب؟ وهذه الحيوانات التي لا عقل لها ولا إرادة، لماذا تُهلك نفسها مخالفةً بذلك طبيعتها وغريزتها في حب البقاء؟! وأنتِ أيضًا لماذا لا تفعلين مثلهم؟ أتعجزين عن الموت لأني أحبسكِ هنا؟ انتظري قليلًا وسوف أعرف الحقيقة!

فجأةً، تركها الدكتور، ومضى إلى خزانة بالبدروم، حيث يحتفظ

بالأسلحة التي أحضرها معه. عاد الدكتور إليها، ووضع على الأرض أمامها مسدسًا عيار 38 وعلبة الرصاصات. قال لها:

- لنجرب هذه المحاولة معًا يا قطة! إذا كنتِ تريدين الخروج من هنا للبحث عن طريقة تموتين بها، فإني أعفيكِ من هذا العناء.. وإن كنتِ قد فهمتِ ما حدثتكِ به ورغبتِ حقًّا أن أخلصكِ من حياتكِ، فما عليكِ إلَّا أن تتحركي وتقفي هناك بين النافذة والباب، ووقتها لن أتردد في قتلكِ!

ظلت القطة للحظات ترمقه بعينيها الناعستين، ثم دست رأسها بين قدميها وتظاهرت بالنوم! حتى لو فهمت القطة ما يعرضه عليها، فإنها ترفضه؛ لأنها تعلم أنه ينصب لها شركًا!

وتنهد الدكتور بيأس، فهو لم يتوقع حقًّا أن تستجيب القطة له، وأن تذهب للباب حتى يقتلها، وحتى إن حدث، فهو لم يكن ليقتلها.. أعاد الدكتور المسدس وصندوق الرصاصات مكانهما، ثم آوى إلى فراشه.

في اليوم التالي، قرر الدكتور الذهاب لصيد السمك. لاحظ بارتياح أن القطة لم تحاول الهرب من الباب عندما فتحه كما فعلت من قبل، ولقد أصاب حظًّا في الصيد، فاصطاد خمس سمكات متوسطة الحجم، أكل بعضها، وترك بعضها طعامًا للقطة.

وجاء يوم الإثنين، وكان قد قرر فيه إطلاق سراح القطة؛ ليتبين بعدها إن كانت ستعود له بعد عدة ساعات أم لا؟ وكان يملك منظارًا

مقربًا، فكر في استخدامه لمراقبة سلوك القطة عند خروجها من البيت. في الساعة العاشرة، فتح لها الباب وهو يقول:

- حسنًا يا قطة.. هل ترغبين في الخروج؟

هبطت القطة من الأريكة، وتمطت في كسل، ثم مرت بجواره، وخرجت من الباب.

وأسرع الدكتور ومعه المنظار وفتح زجاج النافذة. كانت القطة قد قطعت الفناء ووصلت إلى الطريق وهي تتحرك بخطوات بطيئة هادئة، كأنها ليست في عجلة من أمرها، وفجأة توقفت وأدارت رأسها إلى البيت.

وأسرع (ستاونتون) مخفيًا رأسه بسرعة، حتى لا تراه وهو يراقبها. بعد لحظات استدارت القطة واستأنفت سيرها متجهة مباشرة إلى الغابة.. وسرعان ما اختفت من أمامه!

وضع (ستاونتون) منظاره جانبًا وهو يفكر.. لماذا لا يتعقبها في الغابة؟ وتذكر فجأة المطر الذي هطل منذ برهة، وأنها لا بد أن تترك آثار أقدامها على الأرض المبللة. اختطف قبعته ومعطفه، واندفع إلى الفناء يتأمل آثار أقدامها حتى لا يخطئها في الغابة.

وهناك كانت المهمة عسيرةً، وبالكاد استطاع التقاط آثار أقدامها، حتى وصل إلى جدول ماء صغير عرضه حوالي أربع أقدام. ترى هل قفزت القطة هذه المسافة فوق الماء؟ قفز (ستاونتون) إلى الجهة

الأخرى، ولكن لم يجد لأقدامها أي أثر، لذا فقد أخذ يمشي محاذيًا للجدول باحثًا عنها، وما كاد يسير قليلًا، حتى فُوجئ بما كان يخشاه! جثة القطة طافية على سطح الجدول!

حادث انتحار آخر! ماتت القطة التي رافقته أيامًا ورفضت أن يقتلها بمسدسه.. انتظرت القطة حتى تموت دون أن يراها أحد.. لقد كان الموت نهاية كل تلك الضحايا، ولكن لماذا؟!

هل ثمة «شيء» يستخدم تلك الحيوانات لغرضٍ ما؟ يتقمص أجسادها، ثم يقتلها وينتقل إلى حيوان آخر؟ ولكن لماذا؟ لماذا؟

وتذكر حين كان يمسح على ظهر تلك القطة.. تُرى ما حقيقةَ هذا «الشيء» الذي كان يرقد بجواره؟

وعثر على عصا، مدَّها في الماء، وراح يسحب الجثة، حتى تصير في متناول يده، ثم أخرجها من الماء، وحملها إلى منزله، ولفها ببطانية قديمة، ثم وضعها في الصندوق الخلفي لسيارته. فكر هل يأخذها للمعمل الكيميائي ويطلب تشريحها؟ ولكن القطة كانت سليمة تمامًا.

الآن أدرك ما يجب عليه عمله. جاء بالمظروف الذي يحتوي على التقارير التي كتبتها الآنسة (تالي)، ثم انطلق بسيارته إلى المدينة، سيرسلها إلى صديقه. وهُرع إلى منزل الآنسة (تالي) التي أجفلت من وجهه المكفهر. قال لها بجدية:

- أُهنِّئكِ يا آنسة على بُعد نظركِ فيما يتعلق بتلك القطة.. والآن

أحضري أوراقكِ وقلمكِ، حتَّى أضيف شيئًا على التقرير.

وفي لحظات كان يُملي عليها قصة القطة كاملة. وما إن انتهى، حتى رفعت الآنسة (تالي) إليه وجهها، وقالت في انفعالٍ:

- اسمع يا دكتور.. يجب أن تمضي فورًا إلى الشريف، أو إلى إدارة المخابرات، وتضع الأمر كله بين أيديهم.

- سأفعل، ولكن ليس اليوم .. فقد استهلكتُ وقتًا طويلًا يا آنسة في الكتابة والإملاء، ولا بد أنكِ ستسهرين هذا المساء لتعيدي كتابته على الآلة الكاتبة. سأمر عليكِ في الصباح، حتى أرسلها بالبريد، ثم أمضي لمقابلة الشريف، وأقدم له نسخة. ولا شك أنه لو قرأها على مهل، فسوف يكون أشد اهتمامًا من مجرد حديثي إليه.

- أتخاطر بالنوم في ذلك البيت المنعزل يا دكتور؟ هل نسيت أن كل تلك الحوادث قد وقعت على طول ذلك الطريق الذي تسكن فيه؟! في الحقيقة إنني في أشد القلق عليك!

التقط قبعته عازمًا على الانصراف وهو يضحك عاليًا ويقول لها:

- ليطمئن بالُكِ يا آنسة (تالي)، فلست أعتقد أن شيئًا سيحدث الليلة على الأقل.

* * *

الفصل السابع عشر

أخيرًا شعر (الكائن) بالراحة بعد أن عادت إليه حريته وتخلص من جسد تلك القطة اللعينة! عاد (الكائن) إلى قوقعته أسفل الدرجات الخلفية من بيت (سيجفريد). كان يشعر بالارتياح لأنه أدى دوره إلى النهاية بصورة مثالية، حتى استطاع أن يخدع ذلك الدكتور النابغة، وجعله يُطلق سراحه راضياً، ولعله الآن يعتقد أن القطة عادت إلى أصحابها. لقد أخافته طريقة تفكير (ستاونتون) والتي كادت أن تكشف حقيقته. أما الآن فسيكون هذا العقل الجبار وفي هذه الليلة بالتحديد رهن إشارته.. فقط عندما ينام!

بعد الليلة، سيطمئن على مستقبله؛ فالعدو الذي يخشاه، سيكون هو الوسيط الذي يتحرك بأمره، والوسيلة التي ستوصله إلى ما يتمناه.

كانت خطته هي البحث عمَّن ينقله من هنا إلى منزل (ستاونتون)، ولأن هذه الخطوة بالغة الخطورة بالنسبة له، فيجب أن يتولاها إنسان لا حيوان، وليس هناك أنسب من الأرملة. سيسيطر على عقلها عندما تنام، ثم ينتظر حتى بعد منتصف الليل حتى تهدأ حركة المرور على الطريق، ثم يجعلها تحمل القوقعة وتمضي بها حيث تُخفيها خارج منزل (ستاونتون)، ثم تعود إلى بيتها لتموت بطريقة تبدو قضاءً وقدراً، كأن تزل قدمها مثلًا من أعلى الدرج في ظلام الليل، فيدُق عنقُها!

ربما أثار موتها أقاويل الناس وفضول رجال الشرطة حين تلحق المرأة بهذه السرعة بزوجها، ولكن متى اهتم الناس أو الشرطة بشيء

مما حدث من قبل؟ لولا ذلك الفضولي (ستاوتتون) الذي يدس أنفه فيما لا يعنيه، لسارت الأمور بسلاسة. ولكنه سيصمت عن الثرثرة، ولن يثير أي متاعب بعد هذه الليلة!

خرجت الأرملة من باب المطبخ الخلفي، وهبطت الدرج مارَّة بالمكان الذي يختفي فيه وهي تنادي:

- (جيم).. أين أنت يا (جيم)؟

وسمع (الكائن) من يجيب النداء من بعيد، إلَّا أنه لم يستطع أن يتبين ما كان يقوله لبُعد المسافة.

وأقبل الفتى بعد لحظات، وعرفه (الكائن) على الفور، إنه (جيم كرامر) ابن صاحب المزرعة المجاورة، وهو فتى في عمر (تومي). قرر (الكائن) أن الفتى يتميز عن الأرملة كوسيط شاب يمتلئ بالحيوية.. ليته كان ينام قريباً منه!

قالت له الأرملة:

- لم يبقَ إلَّا القليل ونتناول غداءنا، وفي وسعك أن تستريح قليلًا بعد أن أجهدت نفسك في العمل.

- حسنًا.. سأمضي إلى مخزن التبن، فأغفو قليلًا حتى تناديني.

- ولماذا تنام في مخزن التبن ولدينا في الغرفة المجاورة أريكة مريحة؟ ثم لو كنت قريباً مني، لوفرت عليَّ الذهاب إلى تلك الغرفة وإيقاظك.

- فكرة طيبة يا سيدتي.

مضى (جيم)، نخلع حذاءه، واستلقى على الأريكة، وكان من الشباب خالي البال الذي يستغرق في النوم فور أن يغمض عينيه، وفجأةً شعر عقله بألم مفاجئ إلَّا أنه ظل نائمًا.

شرع (الكائن) في تفحص ذاكرة (جيم)، حتى يستمر في أداء دوره بحسب طبيعته متجنبًا أن يصدر عنه أي تصرف شاذ. ونادته الأرملة للطعام، فنهض سريعًا، وأكل حتى شبع، ثم عاد إلى الحقل يستكمل عمله. وما إن انتهى، حتى عاد إلى بيته.

مر العشاء مع أسرته بطريقة عادية، إلا أنه انطلق إلى المكتبة بعدها، وعاد إلى غرفة الاستقبال وهو يحمل جميع مجلدات دائرة المعارف حيث وضعها على المائدة، وبدأ في قراءتها باهتمام كبير، وكان أبوه يمر بجواره، فرآه يعكف على قراءة كل ما يختص بالإلكترونات والرادار، فقال له ضاحكًا:

- هل تفكر في دراسة الهندسة الكهربائية يا (جيم) بدلًا من ميكانيكا السيارات؟

- لست أدري يا أبي.. إنني أهتم بدراسة الإلكترونات فهي أساس كل الاكتشافات الحديثة.

- حسنًا.. ما زال أمامك سنة دراسية كاملة، حتى تقرر رغبتك في التخصص الذي ستدرسه.

- أجل يا أبي.. ولكن سيتحتم عليَّ سرعة الاختيار قبل بداية الفترة

الثانية هذا العام، والتي ستبدأ بعد شهرين.

- الأمر متروك لك يا بني.

- لحظة يا أبي.. هل تسمح لي بقيادة السيارة النقل لمهمة بسيطة صباح الغد؟

- لا بأس.. فلن أحتاج إليها في الصباح. ولكن ماذا ستفعل مع السيدة (جروس)؟

- سوف أفاجئها بسيارتنا وهي تحمل لها المحصول للتاجر في (جرين باي)، بديلًا عن عربتها التي يجرها الجواد، وبذلك أوفر عليها المجهود والوقت.

انتهى (جيم) من القراءة، وجمع المجلدات، وأعادها إلى الرف، وكان (الكائن) قد استوعب كل ما قرأه فيها من معلومات. وفي المساء آوى الشاب إلى فِراشه وهو بملابسه، ولكن لم يغمض له جفن.

عندما أشرفت الساعة على الثانية صباحًا، غادر فراشه وهو يحمل حذاءه في يده، وتسلل على أطراف أصابعه خارجًا من البيت، محاذرًا أن يزعج أبويه النائمين. كان القمر بدرًا مما ضايقه وأفرحه في آن واحد.

فالحقيقة أنه قد يجد طريقه في الخارج بسهولة، ولكن هناك خطر لو رآه أي شخص وهو على الطريق، وربما تعرَّف عليه في ضوء القمر،

وتساءل عما يفعله (جيم) في تلك الساعة المتأخرة بعيدًا عن منزله.

كان (الكائن) قد رسم خطته على أن يؤجل موت الشاب إلى الصباح، حيث يموت في حادث سيارة، مما يقع لعشرات من أقرانه كل يوم. وبعد أن يتقابل مع أكبر عدد من الناس الذين سيشهدون في التحقيق بأن تصرفاته كانت عادية وطبيعية.

انطلق (جيم) إلى مزرعة الأرملة، وكشف عن القوقعة، ثم أزال ما علق بها من تراب، ثم سوّى مكانها جيدًا، ودسها داخل قميصه حتى لا يراها أحد لو قابله صدفة. مضى الشاب إلى منزل (ستاونتون) وهو يحرص على الابتعاد عن الطريق الرئيس.

عندما وصل (جيم)، كان منزل (ستاونتون) غارقًا في الظلام، مما يوحي بأن قاطنه نائم، إلا أن الشاب التزم الحذر وهو يعبر الفناء، حيث دار حول المنزل حتى وصل إلى باب المطبخ الخلفي. كانت هناك درجات خشبية مثل تلك الموجودة في منزل (جروس)، أخذ (جيم) يحفر أسفل الدرجة الأخيرة، حتى صنع حفرة أودع فيها القوقعة، وشرع يزيل الآثار، ثم استدار عائدًا إلى بيته، حيث تسلل إلى فراشه وخلع حذاءه، وتصنع النوم حتى جاء الصباح، وأيقظته والدته، فأجابها متناومًا، وجلس على طرف السرير وهو يتثاءب في خمول. سألته والدته إن كان قد أطال السهر ليلة أمس؟ إلا أنه أجابها بالنفي، وقال بأنه ظل يتقلب في فراشه حتى غلبه النعاس قبل الفجر بقليل.

قال له أبوه:

- إذا كنت لم تنم حقًّا إلا ساعة أو ساعتين، فلا أرى أنه من الصواب أن تقود سيارتنا هذا الصباح، فأخشى أن يغلبك النعاس وأنت خلف عجلة القيادة.

- كلا يا أبي. إنني سأسترد نشاطي بعد أن أغتسل بالماء البارد، كذلك سينعشني هواء الصباح الرطب، فلا تخشَ عليَّ.

ولم تمض ساعة، حتى كان (جيم) يقود السيارة النقل، ولكنه أولًا جعل الأرملة تراه وهو يتثاءب ويدعك عينيه في خمول، حتى تشهد مع والديه بأنه كان مجهدًا، وكان في طريقه منحنى له جدار مرتفع من الصخر.. اندفعت إليه السيارة بسرعتها. وكان ذلك في التاسعة وخمس دقائق تمامًا.

* * *

الفصل الثامن عشر

قضى الدكتور (ستاونتون) ليلةً مضطربةً لم يذق فيها النوم إلّا يسيرًا، حتى إذا جاءت الساعة السابعة، نهض فأعد الإفطار، ثم ارتدى ثيابه وذهب إلى المدينة. كان ميعاده مع الآنسة (تالي) في الساعة العاشرة، لذا فقد ذهب إلى الصيدلية ليتصل بالشريف، ويطلب مقابلته إلّا أنه فوجئ به يقول له:

- لا أستطيع أن أراك سوى في المساء يا دكتور، فقد تلقيت الآن إشارة من شرطة النَجدة عن وقوع حادث تصادم وسوف أنتقل إلى هناك فورًا.

وأغلق (ستاونتون) الاتصال وهو يفكر تُرى مَن هو الضحية؟ هل يعرفه؟ لماذا لم يسأل الشريف؟ وعاود الدكتور الاتصال بالشريف، ورد عليه أحد مساعديه، فأخبره أن القتيل يُدعى (جيم كرامر)، وأنه كان وحده في السيارة، ولا بد أنَّ النعاس قد غلبه؛ لأنه وعلى الرغم من اتساع المنحنى، إلا أنه اصطدم بجدار الجسر الصخري وقُتل في الحال. شكره الدكتور وأنهى المكالمة.

وفجأةً، تذكر اسم (كرامر)، إنه أحد جيران السيدة (إلزا جروس). ضحية أخرى! ومِن نفس سكّان الطريق المشؤوم الذي يبدأ من منزل (كرامر) حتى منزله هو نفسه.. حادث جديد.. ولكن ترى هل هو انتحار؟!

وفجأةً، اجتاحه هدوءٌ غريبٌ، وشعر بأنه يعرف ما ينبغي عليه عمله، وندم على ذلك الوقت الذي ضاع قبل أن يصل إلى الحل السليم.

أجل.. سوف يقلب الدُّنيا رأسًا على عقب، ويحرك كافة الأجهزة.. ربما الجيش أيضًا. يجب أن يوقظهم من نومهم، حتَّى يفتحوا أعينهم على ذلك الخطر الذي يهدد الدولة والمواطنين بالموت، وربما الدمار.

وقرَّر أن يعودَ إلى منزله فور أن يستلم صورة التقارير، ويزيل الخطابين إلى أصدقائه، ثم يحزم حقائبه بعدها، ويستقر في أحد الفنادق في (جرين باي)، ومن هناك سيبدأ في إجراء بعض الاتصالات التليفونية مستخدمًا نفوذه في الدوائر العُليا.

* * *

استغرب (الكائن) عندما شعر بحاسته أن (ستاونتون) قد غادر المنزل. فأين ذهب؟

راح بحاسته يبحث عن أشيائه الشخصية خشية أن يكون قد سافر إلى مكان ما، إلا أنه وجدها جميعًا كما هي. كذلك دلته الأطباق المتراكمة في المطبخ أنه قد تناول إفطاره.. من المؤكد إذنْ أنه عائد لا محالة. ربما انطلق إلى المدينة لقضاء بعض احتياجاته مبكرًا وعلى غير عادته.

وبغتة شعر بتلك الذبذبات التي يُحدثها محرك السيارة قبل أن تدخل في نطاق رؤيته. كانت سيارة (ستاونتون) وقد عاد وحيدًا.. وبفضول راح (الكائن) يفحص السيارة بأشعته الثاقبة.. ذُهل (الكائن) عندما علم أن في صندوق السيارة الخلفي لفافة بداخلها جثة قطة! إنها القطة الصغيرة التي كانت وسيطًا له. بحق الشيطان! كيف استطاع العثور عليها وقد حرص على أن تموت في عمق الغابة؟ وأحس (الكائن) بخيبة أمل، فكيف لم ينتبه إلى هذا الخطأ؟!

لا يهم.. لقد عاد الدكتور إلى بيته، ولسوف ينام إن عاجلًا أو آجلًا.. ولكن ما الذى يفعله؟

إنه يحزم حقائبه، وقد وضع فيها كل حاجياته.. إنه يعتزم الهرب.

لا وألف لا.. لن يُفلت من هذا المنزل أبدًا!

* * *

حمل (ستاونتون) حقائبه إلى سيارته. وضعها في الصندوق الخلفي، ثم عاد إلى المنزل يطوف بحجراته موصدًا النوافذ والأبواب جيدًا، وبعد أن دس مسدسه في جيب سترته، وعلَّق البندقيتين على كتفه، خرج من باب المنزل وهمَّ بغلقه بالمفتاح.. وهكذا لم يلمح ذلك الخطر الذي يتربص به إلَّا ويده على مقبض الباب!

كان هناك ظبيٌ ضخمٌ ذو قرون طويلة حادة يقف يسد الطريق، وقد مال برأسه إلى أسفل مشهرًا قرنيه إلى الأمام، والغبار يثور من

تحت حافريه، وهو يدق بهما الأرض متحفزًا للهجوم.

أسرع الدكتور إلى سيارته، وأدار محركها وفي أعماقه شعور غامض. ضغط على دواسة البنزين، وتحركت السيارة عبر الفناء، ولكن عدوه كان مستعدًّا له، فما كاد يواجهه حتى تحرك الظبي نحوه.

وقبل أن يضغط الدكتور على فرامل السيارة، كان الظبي قد اندفع مصطدمًا بمقدمة السيارة، فدمر الرادياتير وسقط على الأرض، وقد كُسر قرناه ودُق عنقه!

ولولا حاسة الدكتور السادسة التي ألهمته الانتباه للخطر مما دفعه، ليُبعد جسده إلى الخلف، وبذلك لم تحطم عجلة القيادة ضلوعه من أثر الصدمة الهائلة، التي دفعت السيارة للخلف خمسة أمتار كاملة.

حاول الدكتور أن يدير محرك السيارة مرةً أخرى، إلَّا أنها رفضت.. لقد تحطم فيها الكثير.

أدرك (ستاونتون) أن تلك الأسلحة النارية التي يحملها لن تنفعه إذا اضطر إلى قطع كل تلك المسافة إلى المدينة سيرًا على الأقدام، فلا بد أنه سيواجه الكثير ممن يستخدمهم ذلك الشيطان الغامض.

إن الغابة حافلة بالوحوش الضارية، والحقول الواسعة على يمينه تمتد على مدى البصر، وتمتلئ بالثيران الضخمة، ولكن.. ماذا لو استخدم الشيطان إنسانًا لمقاومته؟ فهل سيطلق عليه النار؟! ليس بعيدًا أن يفاجأ بالسيدة (جروس) أو السيدة (كرامر) تحمل سلاحًا، وتطلقه

عليه حتى يبتعد، ويعود إلى منزله. مهما كان الأمر، فقد أسفر العدو عن وجهه القبيح وأغراضه الشريرة، ولم يعد هناك مزيد من الخداع.

غادر سيارته، ثم وقف يتطلع حوله، ولكن كان كل شيء هادئًا وساكنًا. وفجأة حانت منه التفاتة إلى أعلى، فرأى صقرًا يدور محلقًا فوق رأسه على ارتفاع شاهق، لا تستطيع طلقات بندقيته أن تصل إليه؟

لقد تحوّل الهجوم إلى الجو أيضًا!

أخذ (ستاونتون) يفكر فيما يحدث معه. هل يفكر العدو في قتله؟ لو أنه يريد ذلك لجعل الظبي يهاجمه من الخلف، وهو واقف أمام الباب، وكان وقتها يستطيع أن يأخذه بغتةً، فيشق ظهره بقرونه الحادة.

إذنْ فهو يريد الإبقاء على حياته ومنعه من ترك البيت بأي وسيلة. لذا فقد قرَّر أن يعود إلى المنزل، فيغلقه على نفسه حيث يستطيع الدفاع عن نفْسه. في لحظات، كان الدكتور قد دخل منزله، وحشا بندقيته، ثم أسندها إلى النافذة المجاورة للباب الأمامي، وأفرغ جيوبه من الطلقات، ووضعها بجواره فوق الأريكة، حتى تكون في متناول يده.

كان الطريق الآن مكشوفًا أمامه.. ترى مَن يكون هذا العدو؟!

هل هو إنسان له قدرات خارقة يستخدمها من مكان ما بحيث لا يراه أحدٌ؟ أم هو شيطانٌ؟ هل هو زائرٌ من الفضاء كما قالت الآنسة

(تالي)؟ ولكن.. لماذا اختاره هو بالذات ليهاجمه؟ وأخذ يفكر في القطة البيضاء التي مكثت في ضيافته خمسة أيام. لقد سمعت ما كان يُمليه على الآنسة (تالي)، وعرفت أنه ينوي أن يستعين بكبار العلماء من أصدقائه لحل لغز تلك الأحداث الغامضة، ليس هذا فقط، إذ أُتيح لتلك القطة -أو الكائن الذي يتقمص جسدها- دراسته بعمق خلال تلك الفترة التي أقامتها معه.

ولكن إذا كان (ستاونتون) يمثل تهديدًا ما لذلك العدو، فلماذا لم يتخلص منه في الحال؟ حادث سيارة مثل الذي وقع لـ(جيم كرامر)، أو كان من الممكن أن يفتك به هذا الظبي.

لا شك أن هذا العدو يريده حيًّا. ولكن لماذا؟!

هل يريد استخدامه لينفذ له أحد الأغراض، حتى إذا ما استنفد غرضه منه قتله؟!

كان كل شيء هادئًا في الخارج، وكأن شيئًا لم يحدث على الإطلاق. نهض ليعد لنفسه فنجانًا من القهوة، وفجأةً لمع في ذهنه خاطر هام.

لقد نجح الشيطان في السيطرة على عقل (تومي هوفمان) حين كان نائمًا، وكذلك مع (سيجفريد جروس)، ثم مع (جيم كرامر).. وأيضًا باقي الحيوانات.. إنها تنام كثيرًا بالليل والنهار.

ولكن.. لو كان العدو يريده أن يبقى داخل المنزل حتى ينام،

فلماذا لم يهاجمه الليلة الماضية؟!

أدرك الدكتور أنه لسببٍ ما انتقل العدو -بعد موت القطة- إلى جسد (جيم)، مما يؤكد أن العدو «واحد فقط»، وأن ذلك «الواحد» كان مشغولًا عنه، وعندما تحرر من جسد (جيم) انطلق يهاجمه.

أراد الدكتور أن يتأكد مرةً ثانيةً، لذا فقد حمل بندقيته، وفتح الباب الأمامي، وخرج إلى الفناء، وإذا به يجد الصقر الضخم قادمًا نحوه، ثم أخذ يهاجمه في حركات سريعة، فتراجع بسرعة إلى داخل المنزل، وأغلق الباب خلفه في نفس اللحظة التي ارتطم فيها الصقر بالباب بقوةٍ، ثم سقط على الشرفة ميتًا.

لم يكن هناك سوى أمل واحد..

إن الآنسة (تالي) تتوقع زيارته لها، وعندما سيتخلف عن موعده معها، عندها ربما تشعر بالقلق، فتتصل بالشريف الذي سيأتي باحثًا عنه.

نعم.. سوف تصل النجدة في وقتٍ ما.

كل ما عليه أن يظل مستيقظًا!

* * *

الفصل التاسع عشر

مرت الدقائق والساعات بطيئةً كأنها الدهور..

وجاء الليل، حيث تسترخي الأجساد، وتخلد إلى النوم، ولكن (ستاوتنون) كان في تلك الحظة يطوف بجميع غرف المنزل يضيء أنوارها، كي يُبعد أثر النعاس عنه و...

وفجأةً انطفأت كل المصابيح!

إنه المولد الكهربائي! كان الدكتور واثقًا أنه قد ملأه بوقود يكفي لتشغيله أيامًا طويلةً.

هل استخدم العدو أحد الفئران؟ لو خرج، فإنه سيجده بالتأكيد ميتًا -بعد أن قرض الأسلاك- وقد صعقه التيار الكهربي، ومهما فعل (ستاوتنون) فلن يستطيع وضع حدٍّ للفئران، فإن لم يكن هناك الكثير منها في المنزل، فالحقول حوله مليئة بالمئات منها.

الظلام! الظلام!

لكن.. يجب أن يقاوم النعاس.. ولا كانت نهايته!

وقف الدكتور خلف النافذة يراقب القمر الذي ملأ الفضاء بنوره الفضي، وأتاح له رؤية ما أمام البيت، مما بعث شيئًا من الارتياح في نفسه، وكان معه مصباحه اليدوي، ولكنه فضّل ألا يستخدمه إلّا عند الضرورة حتى لا تنفد حجارته، وليس لديه بديلًا عنها.

إلى أي مدى يستطيع مقاومة النوم؟! ربما ظل مستيقظًا طوال أربع وعشرين ساعة أخرى على أقصى تقدير، إذ إنه لم يذق النوم في الليلة الماضية إلَّا قليلًا، كما أنه يشعر بالتعب.

كان يشعر بالجوع، ولكنه قرَّر ألَّا يأكل حتى لا تمتلئ معدته، ويهاجمه النعاس، فلا شك أن الجائع أقوى على احتمال السهر أكثر من الشبعان.

راح (ستاوتتون) يتحرك في الحجرة ذهابًا وإيابًا، وهو يفكر.

ترى ما سر اختفاء قطعة الدهن وكمية الحساء من ثلاجة الأرملة (إلزا)؟

لقد ثبت من معاينة الشرطة أن زوجها كان حريصًا على غسلِ جميع الأواني، التي بلا شك استُخدمت على الموقد، كما عثروا أيضًا على عود ثقاب ملقى تحت الموقد.

هل كان القتيل يعدُّ طعامًا من نوع ما لذلك الشيطان؟

فكرة عجيبة بحقٍّ!

إذا صحت ظنونه، وكان ذلك الكائن الشيطاني يحتاج إلى طعام من نوع ما، فلا بد أن له جسمًا ماديًّا يمتص الغذاء.. ولا بد أنه يمكن رؤيته بالعين المجردة. و... ولكن أين هو؟

قد يكون هنا داخل منزله.. وقد يكون خارجه، ولكن ليس بعيدًا عنه أبدًا.

قرر (ستاوتتون) أن يبحث عنه، ولكن ليس في هذا الظلام.. في الصباح إذنْ.. سوف يبحث في أرجاء المنزل شبرًا شبرًا حتى يجده.

كانت ليلة طويلة للغاية.. وهو وحيد بين أفكاره الحائمة المتلاطمة، ولكنها مرت على أي حال، ما إن نشر الصباح نوره، حتى نهض الدكتور، وراح يفتش المنزل غرفةً غرفةً دون أن تكون لديه فكرة عن شكل ذلك الشيء الذي يبحث عنه.

ورفع بصره إلى السقف، فشاهد فراشةً طائرةً، وتساءل إن كانت «هي» حقًّا؟ وهل يستخدمها الكائن الشيطاني في التجسس عليه.

انطلق الدكتور إلى البدروم، وأحضر شبكة اصطاد بها الفراشة بسرعةٍ، وهو يحرص ألَّا يقتلها، ثم وضعها داخل علبة ثقاب خالية.

ولكنه أراد أن يتأكد، فحمل بندقيته، وفتح الباب وخرج منه. لم يكن هناك أي ما يريب.

تقدم الدكتور بضع خطوات للأمام، وما كاد يفعل حتى اندفع نحوه صقرٌ ضخمٌ، فأطلق عليه (ستاوتتون) النار، فأرداه قتيلًا، وتناثرت الدماء على وجهه، وطار الريش في الهواء، وعندئذٍ أسرع يعدو إلى بيته. غسل الدماء، وأزال الريش عن وجهه وشَعره، وأطلق سراح الفراشة المسكينة.

لقد كان ذلك الشيطان أذكى وأمكر من أن يسقط بين يديه بهذه السهولة!

الفصل العشرون

مضت الدقائق دون أن يحدث شيء.

كان قد مضى أربع وعشرون ساعة كاملة دون أن ينام، بالإضافة إلى ذلك أنه في الليلة السابقة كان أَرِقًا، ولم ينم سوى ثلاث ساعات فقط.. كان (ستاونتون) طيلة الوقت ينتقل من نافذة إلى أخرى يراقب الطريق في تلهف وقلق، حتى كلّت قدماه من طول الوقوف، وشعر بآلام في كل أنحاء جسده، حتى تمنى أن يُغمض عينيه ولو لدقائق قليلة فقط، إلَّا أنه كان يدرك خطورة هذه الأمنية.

لم يكن (ستاونتون) يجرؤ حتى على أن يريح جسده بالجلوس في مقعد وثير، بل كان يجلس -بين الحين والآخر- على أحد مقاعد المطبخ المصنوعة من الخشب، والتي ليس لها ظهر يستند إليه.

لم يكفَّ الدكتور طوال الوقت عن احتساء القهوة الباردة، فقد تذكر أن مادة الكافيين أقوى أثرًا على الأعصاب حين تكون القهوة باردة.

إلهي! لماذا لم تصل النجدة إلى الآن؟!

لماذا لم تأتِ الآنسة (تالي)، أو حتى تُخبر الشريف أنه قد تخلف عن موعده معها، وهي التي كانت تحذره دائمًا من خطورة المبيت في منزله وحيدًا؟

وبدأ النعاس يثقل جفنيه، وبدا له أن مقاومة النوم باتت مستحيلةً. واقتربت الظهيرة، وكان يقف أمام نافذة الدور الأرضي وهو يدعو

الله من أعماقه أن ينتبه أحدهم إلى غيابه.

وفجأةً، تناهى إلى سمعه صوت سيارة قادمة. ومن جديد دب فيه النشاط، فاختطف بندقيته، ثم فتح الباب الأمامي وهو يستتر مستعداً لحماية الشريف من أي هجوم قد يتعرض له و..

وظهرت سيارة فولكس صغيرة تقودها الآنسة (تالي) وحدها!

وبجزعٍ شرع (ستاونتون) يلوّح لها بذراعه في عصبية، حتى تعود أدراجها إلى المدينة في الحال، لكنها لم تكن تنظر إليه، إذ شغلها منظر الظبي المقتول في الفناء، وقد تجمعت حوله عشرات الصقور تنهش لحمه. اقتربت السيارة، ثم وقفت، وفتحت الآنسة (تالي) بابها. صرخ (ستاونتون) بأعلى صوته:

- لا تخرجي من السيارة يا آنسة (تالي)! عودي إلى المدينة، واطلبي النجدة من رجال الشرطة.

ولكن صيحته جاءت متأخرةً...

إذ سمع الاثنان صوت حوافر ثقيلة قادمة من بعيد وهي تهز الأرض.. وفي لحظات ظهر ثور ضخم يعدو ثائراً في اتجاهها.

في تلك اللحظة خطر لـ(ستاونتون) فكرة أن يصيبه برصاصة تعيقه عن الحركة دون أن تقتله، وبهذا يظل ذلك الشيطان حبيساً بداخله.

لذا فقد صوب بندقيته إلى ساقي الثور، وأطلق الرصاص، إلّا أن الثور كان في تلك اللحظة قد مال برأسه إلى الأرض مشرعاً قرنيه

صوب الآنسة (تالي) ليقتلها، وأصابته الرصاصة في رأسه، فهوى على الأرض صريعًا في الحال. واندفع (ستاونتون) إلى (تالي) التي سمّرها الخوف والمفاجأة مكانها. وصل إليها (ستاونون) سريعًا، فجذبها من يدها، وأسرع بها إلى المنزل. دخلا وهما يلهثان، وأغلق الدكتور الباب خلفهما جيدًا. أخذ الدكتور يعيد حشو بندقيته، وهو يحكي لها كل ما مر به بالأمس، وما إن انتهى، حتى اندفعت الآنسة (تالي) تقول بانفعال:

- ليتني ما تركت الشريف، حتى أقنعه أن يأتي معي! لقد اتصلت به بالأمس وحكيت له كل شيء، وقد بدا واضحًا من صوته أنه لم يقتنع، واتصلت به مرة أخرى هذا الصباح، ولكنه اعتذر لي بكثرة مشاغله، وأخبرني أنه لا يستطيع الوصول حتى صباح الغد.. إنني أعتقد يا دكتور أنه لا يصدقنا، بل ويعتقد أننا نسير خلف أوهامنا وخيالاتنا.

زفر (ستاونتون) بيأس:

- غدًا.. يا ألله! وهل أستطيع مقاومة النوم حتى الغد؟! ليتك لم تأتي يا آنسة (تالي)؛ لقد وقعتِ معي في الشرك، وتعرضتِ للخطر دون سببٍ!

قالت (تالي) وهي تفكر:

- هل يمكننا الخروج من هنا وحتى سيارتي؟ عندها سأقود أنا وأنت تحميني ببندقيتك؟

- لا أمل في هذه الخطة يا آنسة.. فالحقول التي أتى منها هذا الثور مليئة بالمئات من أمثاله، ولا تنسي الغابة أيضًا، وما بها من حيوانات وطيور.. ولن تتحمل سيارتكِ الصغيرة أقل ضربة من أجسادها الضخمة.

وكأنه قد تذكر شيئًا، إذ قال فجأةً:

- هل يمكن أن ينتبه أحدٌ إلى غيابك عن دارك تلك الليلة؟ أعني هل هناك من ينتظر عودتك مثلًا؟!

- لا للأسف! فجيراني يعلمون أني أذهب بين الحين والآخر إلى المدينة لزيارة زوجة أخي، وقد أبيت عندها ليلة أو ليلتين، وبالتالي لن يرتاب أحد لغيابي.. ما أشد حماقتي لو أنني استعنت برجال الشرطة! بدلًا من أن أحضر وحدي.. ولكن ذلك الخطر لم يخطر ببالي قط!

ربّت (ستاونتون) عليها بإشفاق، وهو يقول:

- لا تلومي نفْسك بهذه القسوة.. أنا الذي تسبب في كل هذا بتهوري.. لقد أخطأت مرتين.. الأولى عندما لم أسمع نصيحتك وأصررت على المبيت هنا بعد حادثة القطة معي.. أما الخطأ القاتل الثاني، فهو أنني عدت إلى هنا لأحزم حقائبي بعد أن علمت بحادث (جيم كرامر).

وجلسا وأخذ (ستاونتون) يخبرها عن نظريته أنه لو استطاع أن يجرح الوسيط دون أن يقتله، أو أن يحبسه في مكان مغلق، ولكن

مع الأسف، فإن ذلك الشيطان لا يترك له الفرصة أبدًا!

بعد أن انتهى، قال لها وهو يتثاءب:

- سوف استأذنكِ في بضع دقائق، حتَّى أغتسل بالماء البارد، فربما يبعث في جسمي بعض النشاط.

ومضى ليستحم بالماء البارد، ومع هذا كان النعاس يغلبه، وهو يجلس في حوض الاستحمام.

وحين انتهى وعاد إلى الطابق الأرضي، طلب من الآنسة أن تجعل إبريقًا مليئًا بالماء البارد وكوبًا إلى جوارها، حتى إذا ما شاهدته وهو يغمض عينيه، ملأت الكوب وقذفت ماءه في وجهه بقوة، حتى يستيقظ ويفيق.

وبالفعل حدث ذلك مرتين، إذ كان الدكتور يتحدث، فإذا به يصمت فجأة وينام!

كانت الساعة قد شارفت على السادسة مساءً، ولم يبقَ سوى ساعةٍ واحدةٍ، ويأتي الليل. وأدرك الدكتور أنه لم يعد في وسعه المقاومة بعد الآن.

نهض واقفًا وهو يترنح بإعياء، وقال لها:

- لا فائدة! لن أستطيع المقاومة، وسيغلبني النعاس حتى لو رقدت فوق حصير من الشوك. الآن لم يعد أمامنا سوى أحد خيارين:

الأول- أن أنطلق سائرًا على قدميَّ، حتى أصل إلى أقرب تليفون

في أي مزرعة مجاورة، ربما نجحت في ذلك، وربما قد بالغنا في تخيل إمكانيات عدونا وقدراته. على أي حال سأترك لكِ مسدسي وأحمل أنا بندقيتي و...

ولكن الآنسة (تالي) قاطعته في حزم:

- لا.. إذا أنت قد قررت الذهاب، فسأرافقك إما بالسيارة، أو سيرًا على الأقدام.

- سوف يساعدني المشي على اليقظة، كما سيتيح لي مراقبة الجو أيضًا. فلو انتقض علينا صقر ضخم من أعلى، فسيخترق السيارة ويصيب أحدنا بلا شك.. ثم أنتِ لم تسمعي اقتراحي الثاني بعد.. وهو أنني سأنام هنا بعد أن تشدي وثاقي بنفسك جيدًا، أما ما سيحدث بعد ذلك فله عدة احتمالات.. فإنْ تقمصني الشيطان أثناء نومي، فلن يستطيع الاستفادة مني، طالما كنت مشدود الوثاق عاجزًا عن الحركة، وبهذه الطريقة يمكنك أن تتركيني وتذهبي في طلب النجدة بسيارتكِ دون أن يعوقكِ أي شيء.

- ولكن.. ما فائدة النجدة وأنت...؟

قاطعها (ستاونتون):

- دعينا لا نسبق الأحداث.. على كل حال، إن كنتِ ستذهبين فسيكون في وسعكِ أن تحملي إلى المسؤولين تلك المذكرات التي كتبناها معًا، وأن تتصلي بأكبر الشخصيات على مسؤوليتي، وليكن هدفك الأول رجال المخابرات، وعليكِ أن تتصلي بـ(روجر برايس) أو

(كليرمان)، فهما من أصدقائي وسيقومان باللازم!

عادت الآنسة (تالي) تقول له:

- ولكن كيف أطمئن عليك إذا ما تركتك هنا وحدك؟ قد تستيقظ من نومك وتُصيب نفسك أو تحاول أن تفك قيودك.. أو.. أو أي شيء آخر!

- لا تتركيني حتى تتأكدي بنفسك.. يمكنك بعد أن أنام أن تفتحي الباب وأنتِ تحملين بندقيتي، فإن هاجمك شيء دافعتِ عن نفسكِ، ورجعتِ إلى المنزل.. أما إذا سار كل شيء في هدوء، عندها ستكون كل افتراضاتي صحيحة. و.. ولكن إن خشيتِ على نفسكِ، فيمكنك الجلوس إلى جواري -وفي يدكِ البندقية- حتى يصل الشريف في صباح الغد.

فكرت الآنسة (تالي) لبرهة، ثم قالت:

- حسنًا.. سأبقى إلى جوارك.. فهذا أفضل من الذهاب إلى المجهول!

ذهب (ستاونتون) إلى المطبخ، وأُحضر الأربطة التي ستقيده بها. أخرج الدكتور مسدسه من جيبه، ووضعه مع صندوق الذخيرة فوق منضدة بعيدة عنه، كما أسند البندقيتين المحشوتين إلى جوار الباب، ثم قال لها:

- يجب أن تكون هذه الأسلحة بعيدًا عن متناول يدي.. هيا.. اربطي يديَّ أولًا خلف ظهري، وسأرقد على الأرض لتكملي شد الوثاق حول ساقيَّ.

وبدأت الآنسة (تالي) في ربطه بالأربطة، بينما استمر هو يقول:

- اسمعيني جيدًا.. لو بدت مني أي محاولات للخلاص من أربطتي، فلا تترددي في ضربي بمقبض المسدس على رأسي، حتى أغيب عن الوعي، ولكن دون أن تقتليني، حتى لا ينتقل ذلك الشيطان إلى وسيط آخر، وربما انتقل إلى جسدكِ أنتِ، ومن المؤكد أنكِ لن تستطيعي مقاومة النوم قبل أن يصل الشريف إلى هنا غدًا.

قالت وهي تشد رباطه:

- أأنت واثق من أن هذه الطريقة أفضل من ذهابنا معًا لطلب النجدة؟

- نعم.. لا تنسيْ أن عدونا في الخارج يتجول حرًا وهو قادر على فعل أي شيء.

ما كادت الآنسة تنتهي من عملها، حتى كان ستاونتون قد غرق في نوم عميق!

* * *

كم تضايق (الكائن) من حضور الآنسة (تالي)!

لقد اضطر إلى بذل جهده لمنعها من الانطلاق في طلب النجدة، أو أن تصحب (ستاونتون) في سيارتها، فيفلت منه!

أنصت (الكائن) إلى حديثهما، وأدرك أنهما قد توصلا -عن طريق

الاستنتاج- إلى جزء كبير من حقيقته.

شعر بمقدار الخطر الذي يتهدده، إذا أثار الدكتور عليه العلماء.

وقد سمع الآنسة وهي تخبره عن وعد الشريف بالحضور غدًا، ولكن هل يستطيع (ستاونتون) مقاومة النعاس حتى الصباح؟

فكر (الكائن) أنه إذا احتل جسد (ستاونتون)، فلن يكون أمامه سوى التخلص من تلك الآنسة. ولكنه عاد يفكر هل يدخل إلى جسده وهو مشدود الوثاق هكذا؟ ولكنه سيكون شركًا لا مفر منه.

وبعد تفكير، توصل (الكائن) إلى أن المرأة لن تترك (ستاونتون) طويلًا على هذا الحال، ربما إذا استولى على عقل (ستاونتون)، وجعله يتصرف كما هي طبيعته، فإنه لن يثير شكوكها، وستفك وثاقه على الفور.

واقترب (الكائن) من (ستاونتون)، وبدأ في اقتحام عقله، إلّا أنه فوجئ بمقاومة عنيفة، فقد كان عقله الباطن مستعدًا لهذا الغزو ورافضًا له.. وبدأ الصراع بينهما . استغرق الأمر دقيقة كاملة وهي فترة أطول مما لقيه من (تومي هوفمان) و(سيجفريد جروس). وأثناء ذلك غمغم (ستاونتون) فجأة:

- أسفل الدرجات الخشبية... شيء يشبه الـ...

ثم بتر جملته.

لقد تمت سيطرة (الكائن) على عقله!

* * *

تنهد (ستاونتون) مرتين، ثم فتح عينيه، ليجد الآنسة (تالي) تجلس إلى جواره.

غمغم بصوته العادي:

- أخال أن كابوسًا مخيفًا قد هاجمني خلال الفترة التي نمت فيها.

مرت لحظة من الصمت قبل أن تقول الآنسة:

- لقد سمعتك تقول شيئًا يا دكتور -هذا إن كنتَ الآن الدكتور (ستاونتون) بالفعل. لقد قلتَ «أسفل الدرجات الخشبية.. شيء يشبه...»، ولم تكمل عبارتك. فما هو ذلك الكابوس الذي رأيته؟

- يا ألله يا آنسة (تالي)! وكيف لي أن أذكر! كان هناك ثور ضخم يطاردني محاولًا قتلي، ثم... آه... نعم... استطعت الهرب منه لأختفي منه وأنا أزحف على بطني أسفل الدرجات الخشبية، ولم يكن معي في الحلم أي سلاح.. وأرجو أن أنام مرة أخرى دون أحلام مفزعة.

- لقد أخبرتني من قبل يا دكتور بأنَّ عدونا الشيطاني قريب منا، وقد يكون خارج المنزل، أو في مكان ما بداخله، وأنك قد فتشت المنزل عنه دون جدوى.. وأنت كنت تقول «الدرجات الخشبية»، وليس في المنزل سوى ثلاث درجات تؤدي للشرفة الأمامية، وأخرى أمام الباب الخلفي. وسأذهب الآن لتفحصها قبل أن يهبط الظلام.

وهتف بها الدكتور:

- ما هذا الهراء الذي تقولينه يا آنسة (تالي)؟ إنه مجرد كابوس!

ولكنها أسرعت تحمل المسدس والبندقية، ثم فتحت الباب الأمامي.

وقفت للحظات حتى تُلقي نظرة على الطريق.. ثم في اتجاه الغابة.. ثم إلى أعلى، حتى لا يهاجمها الصقر الضخم.. كان كل شيء هادئًا.

بحثت الآنسة عند الدرجات الأمامية، إلّا أنها لم تجد أي شيء.. فقررت أن تستعين بالمصباح اليدوي، إذ بدأ الظلام في الانتشار.

واتجهت إلى الدرجات الخلفية. للوهلة الأولى كان كل شيء يبدو طبيعيًّا، إلّا أنها عندما سلطت ضوء المصباح أسفل الدرجة الأخيرة، لاحظت أن لون جزء من التراب يبدو مختلفًا عن باقي التراب، مما يعني أنه قد أُزيل ثم أُعيد لمكانه.

يا ألله!

هناك آثار أصابع آدمية!

ودون أن تكترث باتساخ ملابسها، انبطحت أرضًا، حتى صار ذراعاها ورأسها في مستوى أسفل الدرجة.

عكفت الآنسة على الحفر بالسكين، وهي ترفع الأتربة بيديها و...

وفجأةً شعرت بجسم صلب، تحسسته بأصابعها، وحملته بين يديها، وهي تفحصه باهتمام.

إنه شيءٌ يشبه السلحفاة، إلَّا أنه خالٍ تمامًا من أي فتحات.. إنه جسم غريب بلا شكّ.

نهضت فجأةً، ثم ألقت به على الأرض، وسددت المسدس إلى منتصفه و... وأطلقت النار!

وفجأةً، انطلقت صرخة مريعة من داخل المنزل... صرخة (ستاونتون). كانت صرخة ألم حادة. اندفعت (تالي) تجري إلى المنزل، وهي تحمل المسدس في يدها.

ففوجئت بالدكتور راقدًا على الأريكة، وهو يلهث وعلى شفتيه ابتسامة الخلاص.

قال لها:

- أهنئكِ يا آنسة (تالي). لقد قضيتِ على الشيطان. إنكِ قوية الملاحظة حقًّا. لقد توصلتِ إلى ما كان يستحيل على مئات العلماء التوصل إليه. لا .. لا تحلي وثاقي الآن؛ فقد نكون مخطئين... يا ألله! إن انتصارنا يجعلني عاجزًا عن الكلام، بل لقد أطار النوم من عينيّ.

وصمت للحظاتٍ، ثم تابع:

- في الوقت الذي سيطر فيه ذلك الشيطان على عقلي، كنتُ أنا أيضًا أتجول فيه، حتى عرفت طبيعته، ومِن أين أتى؟ ولماذا كان يقتل كل هذه الحيوانات والطيور والبشر؟

وشرع يقص عليها قصة نفي ذلك (الكائن) من كوكبه، ورغبته

وأمله في العودة إلى وطنه.

قال لها:

- أشعة طويلة اكتشفتها تلك العقول الذكية فوق ذلك الكوكب العجيب، تصل إلى الكواكب الأخرى، يستخدمونها في الانتقال دون أقمار أو صواريخ. كم أتمنى في السنوات القادمة أن نعرف طبيعتها، فتوفر علينا ملايين الدولارات التي يُمكن أن نوجهها وقتها لخير الشعوب وتقدمها.

وفي النهاية، ضحك وهو يقول لها:

- هل تحبين يا آنسة أن ترافقيني يومًا ما في رحلة إلى الفضاء؟

ضحكتْ وهي تقول له:

- ستكون مغامرة حقيقية يا دكتور. ولكن بمَن نبدأ؟ بالزهرة أم المريخ؟!

وفكت وثاقه، وما هي إلَّا لحظات، حتى كان قد أغمض عينيه، ونام!

راحت الآنسة (تالي) تراقبه بودٍّ، ثم انطلقت إلى الباب، ففتحته دون أن تحمل سلاحًا، ونظرت إلى السماء.

كانت هناك الملايين من النجوم تلمع في السماء الصافية.

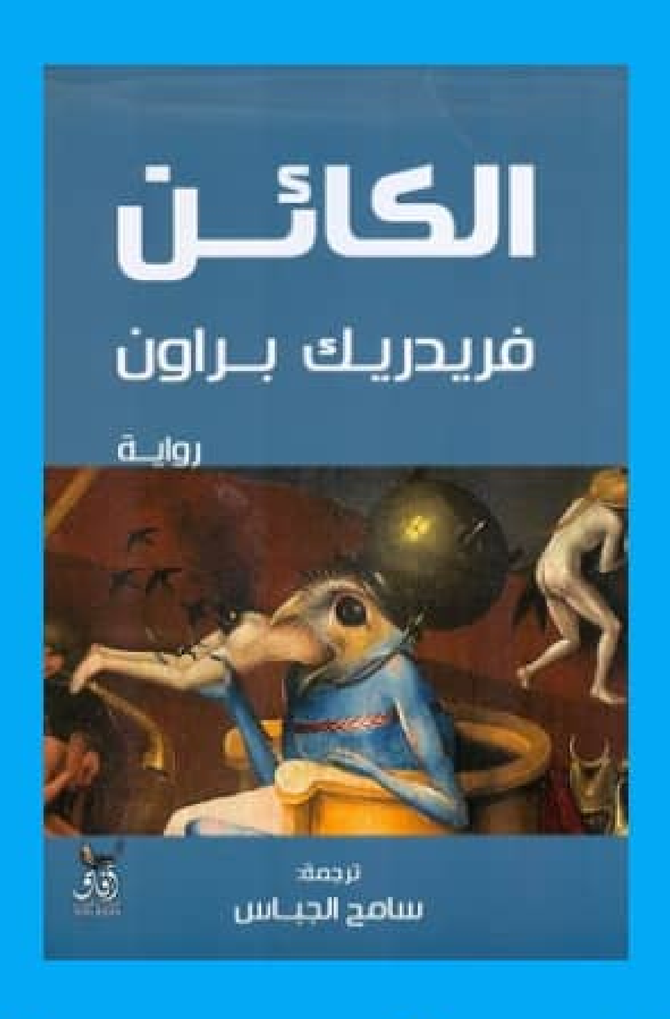
تُرى مِن أين أتى ذلك الكائن الشيطاني؟!

كانت حياتها من قبل جدباء، أمَّا الآن فالمستقبل يبتسم لها، ويدعوها للمُضيِّ مع (ستاونتون).

امتلأت عيناها بالدموع.. دموع الفرح والاطمئنان بعد ما قاسته من آلامٍ وحرمانٍ.

(تمَّت)

* * *


الكائــن
فريدريك بــراون
روايــة
ترجمة:
سامح الجبـاس